

العوامل المؤثرة علي رؤى القائمين والمستفيدين من برامج وأنشطة التطوع في قرية
مصرية: دراسة إثنولوجية

د. مهدي محمد القصاص
أستاذ علم الاجتماع المشارك
كلية الآداب - جامعة المنصورة
مصر

E-mail: mahdym@mans.edu.eg
Website: www.mahdyelkassas.name.eg

مقدمة

التطوع قيمة إيمانية وأخلاقية وإنسانية عظيمة، يُقدم عليها الإنسان من أجل سعادة الآخرين وتخفيف العبء عنهم، مبتغياً بذلك رضا الله ثم محبة الناس. فقد دلت النصوص الشرعية على مشروعية العمل التطوعي بوصفه من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى ربه. وهو لا يخرج عن أعمال البر والإحسان والصدقة والخير. حيث يقول الله عز وجل "وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" (البقرة: ١٥٨) ويقول "فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ" (البقرة: ١٨٤). ويحظى العمل التطوعي بالمكانة العالية في الإسلام، لأنه يرتكز على أسس وثوابت منها البر والإحسان لنيل رضا الله جل جلاله. وقد جاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه" (أحمد بن عيسى، ١٩٨٥: ٣٤).

والعمل التطوعي سمة من سمات الحضارة وأحد الأسس الهامة للنهضة الشاملة في شتى جوانب الحياة. وهو وسيلة مهمة لتكافل وتآزر أفراد المجتمع ومؤسساته، وذلك لكونه قوة محرّكة للمجتمع تتبع من داخله وتقوم على جهود أفرادها وجماعاته ومؤسساته لتحقيق نهضته وتطوره وتقدمه، فضلاً عن علاج مشكلاته وآلامه وجراحه في أوقات الرخاء والشدة والقوة والضعف. وتقوم فكرة التطوع على أساس العطاء الخيري. فمقصد الفرد من التطوع ككائن اجتماعي، يعيش في جماعة، يتفاعل معها ويتأثر بمشكلاتها ليس الحصول على مقابل شخصي؛ بل إنه ينبع من واقع رغبته في طاعة الله وحبه للآخرين ورغبته في مساعدتهم تطبيقاً لقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (الألباني: ٧١)، فينال رضا الله وحب الآخرين وتقديرهم لعمله. فضلاً عن أن أثر هذا العمل لا يقف عند حد المساهمة التي يقوم بها، بل يمتد لإحداث تفاعلاً نشطاً ورابطاً قوياً مع المجتمع مما يعكس على تنميته، كما أنه يُحيي إحساس الآخرين بواجبهم تجاه مجتمعهم. حيث يقوم الفرد بخدمة مجتمعه ومساعدة الآخرين والعمل على حل مشكلاته سعياً نحو مجتمع أفضل.

وإذا كان مفهوم التطوع يقع في منظومة الفكر المادي العلماني على طرف نقيض لمفهوم الواجب أو الإلزام؛ ولذلك نجدهم يُفرّقون بين "العمل التطوعي" و"العمل غير التطوعي"؛ فإن الأمر جدُّ مختلف في منظومة الفكر الإيماني الإسلامي؛ إذ يتصل التطوع بالفرض، كما تتصل السنّة بالواجب اتصالاً وثيقاً، يصل أحياناً إلى حد انتقال العمل الواحد من موقع "التطوع" إلى موقع الفريضة الملزمة، وذلك في الحالات التي عبّر عنها الفقهاء بمفهوم "فروض الكفاية"؛ وهي

تلك الأعمال التي يتعين القيام بها لمصلحة المجتمع أو الأمة كلها، ويُناط ذلك بفرد أو بجماعة منها أو فئة معينة تكون مؤهلة لهذا العمل، فإن لم ينهض به أحد صار العمل المطلوب فرضاً مُلزماً، ويأثم الجميع ما لم يقم هذا الفرد أو تلك الفئة أو الجماعة - أو غيرها - بأدائه على الوجه الذي يكفي حاجة المجتمع. وكلما كان الفرد أو الجماعة أو الفئة أكثر قدرة على القيام بأداء فرض الكفاية على سبيل التطوع وتقاوس عن ذلك، كان نصيبه من الإثم أكبر من غير القادر أو الأقل قدرة منه (إبراهيم غانم، ٢٠٠١).

وقد بات العمل التطوعي يحظى بالاهتمام المتزايد على المستوى العالمي. فمعظم دول العالم تتناول هذا الموضوع وتتدارسه بطريقة أو بأخرى. كما أن هناك اهتمام بالقوانين المنظمة لممارساته في السنوات القليلة الماضية. كما تجري مداوات عديدة على كافة المستويات؛ الدولية والوطنية وداخل القطاعات التطوعية نفسها حول أفضل البيئات التي تمكّن المنظمات التطوعية من العمل فيها، وطبيعة الهيئات التي يمكنها أفضل من غيرها أن تتظّم الممارسات التطوعية (Gronbjerg & Salamon, 2002; Murray, 2005).

وبطبيعة الحال، فإن كل بلد أو منطقة تختلف عن غيرها ويرتبط هذا بمدى تحقيق المتطلبات التي تناسب احتياجاتها. وهذا يتطلب أن يتقاسم الجميع أفكارهم وخبراتهم، وأن تعمل - هذه المجتمعات - معا حتى يكون التنظيم الذي تطوّره تنظيماً فعالاً؛ أي تنظيماً يساعد المنظمات التطوعية على تحسين حياة الناس في كافة أنحاء العالم.

فالعامل التطوعي إذن ليس برنامج مساعدات ورؤى اقتصادية وسياسية فحسب؛ إنما هو فكرة أخلاقية تعكس علاقة الشراكة بين أفراد يتقاسمون العيش والفهم الثقافي المشترك على كوكب الأرض، وليس مجرد جهود بدنية أو مالية، بل تتخطاها إلى بناء شراكة من المهارات والمعرفة (صابر عبد الباقي، ٢٠٠٩).

ويعد التطوع من الموضوعات الهامة الجديرة بالدراسة في كافة المجتمعات المتقدمة منها والنامية، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إبراز الدور الهام الذي تلعبه المجتمعات الأهلية غير الحكومية في تلبية الاحتياجات الأساسية للفئات والشرائح الاجتماعية محدودة الدخل هذا من جانب، والسعي إلى تنمية وتقدم المجتمع من جانب آخر.

ثانياً: أن العمل التطوعي ليس برامج وأنشطة ومشروعات تقوم بها الجمعيات الأهلية غير الحكومية فحسب، وإنما هو عملية هادفة لترسيخ منظومة قيم محورية في المجتمع؛ كقيم العطاء والعمل غير الهادف للربح، والانتماء والولاء.

ثالثاً: أن نشر ثقافة التطوع لدى الشباب يرسخ في نفوسهم التوازن بين الروح الفردية والجماعية، الأمر الذي يوفر المناخ المناسب لتنمية شخصياتهم على الإيثار وانكار الذات وخدمة المجتمع التي تعد غاية نهائية لقيم التطوع.

رابعاً: أن نشر ثقافة التطوع تبرز من الناحية السوسولوجية كأحد أهم الآليات التي تحد كثيراً من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات المحلية وكذلك الشباب في هذه المجتمعات، حيث تلعب الجمعيات الأهلية غير الحكومية دوراً هاماً في تلبية الاحتياجات الأساسية للفئات والشرائح الاجتماعية محدودة الدخل هذا من جانب ، والحد من المشكلات التي تواجه بطالة الشباب من جانب آخر، حيث أن إنخراطهم ومشاركتهم في برامج وأنشطة ومشروعات الجمعيات التطوعية يحميهم من الوقوع في كثير من مشكلات تعاطي وإدمان المخدرات وارتكاب الجرائم وبخاصة المصحوبة بالعنف .

خامساً: أن نشر ثقافة التطوع يعكس سوسولوجيا الدور الهام الذي تلعبه النظم الاجتماعية في ترسيخ قيم التطوع ، ونعني بذلك دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية لأبنائها، ودور المدرسة والمؤسسات التعليمية المتعددة والمتنوعة في التنشئة التربوية ، وكذلك الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال الجمعي المكتوبة والمسموعة والمرئية ، ومنظمات المجتمع المدني في ترسيخ قيم التطوع ونشر ثقافته.

وقد تشكلت فكرة هذه الدراسة من واقع معايشة الباحث للعمل التطوعي من خلال جمعية كفالة اليتيم بقرية ببيان، مركز كوم حمادة، محافظة البحيرة والتي تقع غرب العاصمة؛ القاهرة على مسافة ١٢٠ كيلو متر، وهي القرية التي تمثل مجتمع الدراسة، ذلك لأنها موطنه الأصلي مولدا وإقامة، ومعاصرتة للإرهاصات الأولى لعملية التطوع منذ أن كان طالبا جامعيا في ثمانينات القرن الماضي. ففيما مضى كان المحتاج يطرق أبواب القادرين من أهل القرية وغيرها، ومع بداية هذا الشكل من التطوع ثم ازدهاره في مجتمع القرية فكرا وممارسة، اختفت تلك العادة إلى حد كبير، وأصبح المتطوعون هم الذين يقصدون أبواب المحتاجين. فقد بدأت الفكرة بجهود فردية بمجموعة من الشباب المتطوع ممن يجمع بينهم فكرة واحدة وهي مساعدة الأطفال الأيتام. وكان لكل منهم وسيلته المختلفة في ذلك؛ من بينها تقديم الطعام، المساعدات المادية، مجموعات تقوية للتلاميذ أو تحفيظ القرآن الكريم. وقد كان أغلب هؤلاء المتطوعين من طلاب الجامعة والمعلمين العاملين في مدارس القرية، الأمر الذي جعلهم على دراية بالتلاميذ وذويهم وظروفهم التعليمية والاقتصادية والاجتماعية، ساعد على ذلك الروابط الاجتماعية القوية التي تميز ريف المجتمع المصري. ثم تطورت الفكرة وصولا للشكل المؤسسي الذي هي عليه الآن.

هدف الدراسة وخطتها

أ. أهميتها العلمية:

تأتي هذه الدراسة التي تتخذ من "العوامل المؤثرة علي رؤي القائمين ببرامج وأنشطة التطوع والمستفيدين منها" موضوعاً رئيساً لها كي تكشف عن الدور الهام الذي تلعبه برامج وأنشطة ومشروعات التطوع، والدور الذي تسهم به الجمعيات الخيرية في تنمية وتقديم المجتمعات المحلية.

فضلاً عن ذلك، فإن نشر ثقافة التطوع وترسيخها تعد من وجهة النظر العلمية أحد أهم الآليات المستخدمة لتلبية الاحتياجات الأساسية (الغذاء- الصحة - التعليم - الرعاية الاجتماعية إلخ) للفئات والشرائح الاجتماعية محدودة الدخل.

كما أن نشر ثقافة التطوع وترسيخها تعد من وجهة النظر العلمية أحد الحلول الهامة لمواجهة معدلات البطالة بين الشباب، حيث تتاح أمامهم فرص العمل التطوعي في خدمة مجتمعهم المحلي، مما يزيد من إحساسهم بواجباتهم تجاه مجتمعهم، والمساعدة في حل مشكلاته سعياً إلى مجتمع أفضل وأكثر تقدماً.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العمل التطوعي في حد ذاته يعد أحد المداخل الهامة لمواجهة التحديات التي تواجهها المجتمعات المحلية ، حيث تهتم الأدبيات ذات الصلة بنمو ونشوء أدوار تلك المجتمعات الخيرية في أعمال الإغاثة وعمليات التنمية.

خلاصة القول، فإن الأهمية العلمية للدراسة تتمثل في الكشف عن العوامل المؤثرة علي رؤي القائمين ببرامج وأنشطة التطوع والمستفيدين منها في مجتمع الدراسة.

ب. أهداف الدراسة

تهدف الدراسة للكشف عن العوامل المؤثرة علي رؤي القائمين ببرامج وأنشطة التطوع والمستفيدين منها في مجتمع الدراسة، وذلك من خلال محاولة تحقيق الأهداف التالية:

١. الكشف عن العوامل المؤثرة علي رؤي القائمين ببرامج وأنشطة التطوع والمستفيدين منها في مجتمع الدراسة.

٢. الكشف عن مدي تلبية برامج وأنشطة ومشروعات التطوع للاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للمستفيدين منها في مجتمع الدراسة.

٣. الكشف عن المعوقات التي تواجه برامج وأنشطة ومشروعات التطوع في مجتمع الدراسة.

ج. أسئلة الدراسة

في ظل الأهداف التي تسعى الدراسة لتحقيقها، يحاول الباحث الإجابة علي الأسئلة التالية:

١. ما العوامل المؤثرة علي رؤي القائمين ببرامج وأنشطة التطوع والمستفيدين منها في مجتمع الدراسة؟
٢. ما مدي تلبية برامج وأنشطة ومشروعات التطوع للاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للمستفيدين منها في مجتمع الدراسة؟
٣. ما المعوقات التي تواجه برامج وأنشطة ومشروعات التطوع في مجتمع الدراسة؟

د. الإطار النظري للدراسة

تنتمي الدراسة الراهنة التي تتخذ من "العوامل المؤثرة على رؤي القائمين ببرامج وأنشطة التطوع والمستفيدين منها" موضوعاً رئيساً إلى مجالي علم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع. فهي تعد دراسة أنثروبولوجية من خلال استخدام المدخل الإثنولوجي (الإثنوجرافيا الثقافية) لوصف وتحليل ثقافة التطوع والدور الذي تلعبه الجمعيات الأهلية غير الحكومية في تلبية الاحتياجات الأساسية للفئات والشرائح الاجتماعية محدودة الدخل من الميدان الذي تمثل في قرية ببيان.

فالدراسة الأنثولوجية هي دراسة مقارنة لأساليب الحياة للوصول إلى نظرية النظم الاجتماعية. وهي تهتم بدراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة. ولذلك، تعرّف الأنثولوجيا بأنها دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطورها، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشارها تحليلاً تاريخياً (عيسى الشمّاس، ٢٠٠٤).

لذلك نجد الدراسة الراهنة تحاول تحليل ثقافة التطوع (في مجتمع الدراسة)، ومقارنتها بما هي عليه في الثقافات الأخرى (من خلال عرض النماذج العالمية المختلفة) في محاولة للوصول إلي قوانين عامة يمكن تبنيها. فمن سمات الإثنولوجيا، أنّها تعتمد عمليتي التحليل والمقارنة، فتكون عملية التحليل في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافتين أو أكثر. وهي تهدف من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية، ولظاهرة التغيير الثقافي وأثار الاتصال بين الثقافات المختلفة (عيسى الشمّاس، ٢٠٠٤: ١٠٧).

وتنتمي هذه الدراسة كذلك لمجال علم الاجتماع؛ وذلك من خلال العمل علي توضيح كيفية إكساب وترسيخ منظومة القيم المحورية لدى القائمين علي برامج وأنشطة ومشروعات التطوع والمتمثلة في قيم العطاء وإنكار الذات، والعمل التطوعي لخدمة المجتمع، والانتماء والولاء للمجتمع.

فضلاً عن ذلك، فإن نشر ثقافة التطوع يعكس سوسيولوجيا الدور الهام الذي تلعبه النظم الاجتماعية في تجلية وترسيخ قيم التطوع في نفوس أفراد المجتمع، ونعني بذلك أدوار كل من الأسرة، والمدرسة ووسائل الاتصال الجمعي المكتوبة والمسموعة والمرئية، ومنظمات المجتمع المدني.

هـ. منهجية الدراسة

يعتمد المنهج المستخدم في الإجابة على تساؤلات الدراسة ومن ثم تحقيق أهدافها على المدخل الإثنولوجي الذي يسعى لتقديم صورة وصفية تحليلية للمادة الثقافية (ثقافة التطوع)، وذلك بهدف توضيح الاتجاهات العامة الدافعة لانخراط الشباب في العمل التطوعي من خلال المشاركة في تقديم البرامج والأنشطة والمشروعات التي تقدمها الجمعية الأهلية (جمعية كفالة اليتيم) للفئات والشرائح الاجتماعية محدودة الدخل. كما يساعد في التعرف على مدى نجاح هذه الجمعية في تلبية الاحتياجات الأساسية لهذه الفئات والشرائح الاجتماعية، والكشف عن درجة رضاهم عن هذه البرامج والأنشطة والمشروعات التي تقدمها لهم هذه الجمعية .

ويوظف الباحث الملاحظة بالمشاركة Participant Observation للإجابة على تساؤلات الدراسة ومن ثم تحقيق أهدافها، حيث تستخدم الدراسة هذه الأداة لتقديم تحليل كفي سواء للقائمين علي برامج وأنشطة ومشروعات التطوع في القرية (المجال الجغرافي للدراسة) أو للمستفيدين من أهالي القرية من هذه البرامج والأنشطة والمشروعات التي تقدمها جمعية كفالة اليتيم بقرية ببيان .

وقد تم اجراء الدراسة الميدانية في الفترة من أكتوبر ٢٠٠٨ وحتى يونيه ٢٠٠٩، حيث اعتمدت الدراسة على دليل المقابلة للحصول على البيانات الكيفية سواء من القائمين علي برامج وأنشطة ومشروعات الجمعية، أو من المستفيدين منها من خلال الملاحظة بالمشاركة.

و. مجتمع الدراسة

تمثل مجتمع الدراسة في الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة النبوية، واسم الشهرة: الجمعية الشرعية لكفالة الطفل اليتيم. وقد تم إشهار فرع الجمعية بقرية ببيان تحت رقم ٩٦٠ لسنة ٢٠٠٤ ميلادية، وهو خاضع في تكوينه للقانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ وفي أغراضه وخطته ومنهجه لأغراض ومبادئ الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة. ونطاق عملها هو مركز كوم حمادة ومركزالدنجات ومركز بدر (وهي مراكز تابعة لمحافظة البحيرة).

ويعتمد فرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان في مصادر تمويل المشروعات والأعمال علي التبرعات من خلال دفاتر التحصيل الخاصة بكل مشروع، وعلي كفالات وعطاءات الجمعية الشرعية الرئيسية وهي كفالات نقدية للأطفال الأيتام وعطاءات سنوية مثل عطاء اللحوم وعطاء

شهر رمضان من المواد الغذائية وعتاء البطاطين والأدوات المدرسية، وعلى عطاءات سنوية لبعض رجال الأعمال والشركات، مثل عطاء الملابس السنوي من الشركة الرباعية للمنسوجات بمدينة السادات وعتاء جمعية أبو العينين للأعمال الخيرية من المواد الغذائية وعتاء شركة امتان وعتاء القوات المسلحة في شهر رمضان.

وسوف تسير الدراسة على النحو التالي: سيتم أولاً عرض مفهوم التطوع والمفاهيم المرتبطة به، ثم عرض الأبعاد المختلفة لثقافة التطوع، وبعد ذلك تتناول الدراسة آليات ممارسة التطوع، حيث نعرض لجمعية كفالة اليتيم كمثال تطبيقي، يلي ذلك عرض لبعض النماذج (الغربية والأسبوية والعربية) للتطوع ومحاولة القراءة الناقدة لها، وأخيراً تنتهي الدراسة بعرض النتائج الميدانية والخروج بأهم التوصيات والمقترحات.

أولاً: مفهوم التطوع والمفاهيم المرتبطة به

التطوع في اللغة يعنى التتقل، والناقلة، وكل متتقل خير متطوع، وقد تدغم التاء في الطاء فيقال: المتطوع: أي المتطوع. والتطوع اصطلاحاً يعنى ما تبرع به الإنسان من ذات نفسه، مما لا يلزمه فرضه. وقيل أيضاً: المتطوع هو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه، وهو تفعل من الطاعة (سعيد القحطاني، ٢٠٠٦: ٦).

وبعد مفهوم التطوع من المفاهيم الأصيلة في الدراسات المهمة بالعمل الخيري والاجتماعي (Mc Donald, 2008). وقد شهد العقد الأخير تنامي اهتمام الباحثين بهذا القطاع على مستوى الدول المانحة والمتلقية على حد سواء (Lewis, 2002: 2). كما شهد حراكاً للمنظمات الأهلية أتى بها إلى مرتبة الصدارة في عملية التنمية الدولية وبيان مدى أثرها في تشكيل سياسات التنمية وفي التخطيط والتنفيذ كذلك (Mukasa, 2003: 2). وأمسي العمل التطوعي من هذا المنطلق آلية هامة من آليات المجتمع لمواجهة بعض التحديات التي تظهر في كل مكان من العالم. وهو ممارسة قديمة تُعلى من شأنها كل التقاليد الدينية العريقة. ويتسم العمل التطوعي بالطوعية والاستقلالية وينبع من رغبتنا الأصيلة في مساعدة الآخرين (Fulton & Blau, 2005: 4).

ويتضمن التطوع أن يتعهد الشخص بمحض إرادته - دون قهر أو إجبار - بمنح جانباً من وقته أو ماله أو طاقته لخدمة مجتمعه. فالمتطوع كالزهرة التي يراها الشاعر الهندي "طاغور" Tagore تملأ الفضاء بعطرها، ثم تكون خدمتها الأخيرة أن تقدم نفسها إليك. وهكذا الأفراد الذين يندرون أنفسهم لمساعدة الآخرين وخدمة المجتمع (Manual for Beijing Olympic Volunteers, 2008: 3). وينظر "روزاريون" Rozarion من المنطلق ذاته للتطوع على أنه

الانخراط في نشاطات خيرية تتضمن عنصر الالتزام ويمتد نفعها ولا يقف عند حد الشخص المتطوع (Rozario, 2007:32). كما ينظر للتطوع على أنه إعطاء الوقت والمال وتقضيل الصالح العام. وهذا التعريف يتكامل مع ما يراه الكثير من الباحثين؛ من حيث النظرة الشمولية التي تستوعب كل الثقافات، بوصفه المنح أو العطاء خارج النطاق الأسرى (Fulton & Blau, 2005b: 2).

والتطوع من منظور برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين هو عمل غير ربحي، لا يقَدَم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي أو مهني، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة ورفع مستوى معيشة الآخرين، من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة عامة (إبراهيم حسين، ٢٠٠١).

وقد وضع الإسلام نظاماً متكاملًا للرعاية الاجتماعية، وكان للعمل التطوعي أولوية في الرسالة المحمدية. فقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة تحت على العطاء والإنفاق وبذل الخير للمجتمع، ولاسيما الفقراء والمحتاجين والمساكين. وقد حفل الدين الإسلامي الحنيف بأروع نموذج للعمل التطوعي تتجلى فيه الأهداف والغايات الإنسانية النبيلة (عبد الله النعيم، ٢٠٠٠: ٣). ولذلك كان من أركانه الزكاة حقا للفقير والمسكين والغارم وابن السبيل، حربا على الحاجة والكوارث والتشرد، بل لتحرير العبيد ممن يمتلكون رقابهم (يوسف كمال، ١٩٨٦: ٦).

كما اهتمت الشريعة الإسلامية بتتمة الجوانب الخيرية والإنسانية في بنائها للفرد والمجتمع وجعلت من إتيان الصالحات وفعل الخير ركناً أساسياً في العقيدة ووسيلة إلى النجاح وجزيل المثوبة (مركز البحوث والدراسات، ٢٠٠١: ١).

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تدل على مشروعية الخدمة الاجتماعية وبيان فضل وعظم أجر التطوع ، فقد حث سبحانه وتعالى عباده بالإحسان إلى الغير والمساعدة في قضاء حوائجهم فقال تعالى"وفي أموالهم حقٌ معلومٌ للسائل والمحروم" (الذاريات: ١٩)، وقال عز من قائل: "وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ" (البقرة: ١٧٧). وقد أكدت السنة النبوية المطهرة هذه المعاني وفصلتها من بعد إجمال، جاء ذلك في أحاديث جمة منها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الساعي على الأرملة والمسكين كالساعي في سبيل الله وأحسبه قال كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) (التبريزي، ١٩٨٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) (الألباني: ٣١).

وعند الحديث عن المنظمات التي تشكل القطاع التطوعي، نجد مصطلحات مثل "المنظمات الأهلية" أو "غير الحكومية" Non Governmental Organizations و"الجمعيات الخيرية" (Charities) أو "غير الهادفة للربح" (Non-profit) والتي تلقى الضوء على طبيعتها

المستقلة عن القطاع الخاص و"المؤسسات الإنسانية" Philanthropic Foundations والجماعات التطوعية Voluntary Groups ... الخ (Smith, 1993). وهذه المنظمات - أيا كان شكلها أو مسماتها - تمثل كيانات اجتماعية قانونية يتم إنشائها بهدف إنتاج السلع والخدمات. وهي غير هادفة للربح بمعنى أن مؤسسيتها أو مالكيها لا يحصلون على دخل أو يجنون ربحاً من ورائها (United Nations, 2003: 1). فهي منظمات تعمل خارج نطاق قطاعي الدولة والسوق، غير هادفة للربح ويديرها أفراد متطوعون (Baguley, 2005: 3). والتطوع هنا يعني أن العضوية أو المشاركة في المنظمة أو الجمعية ليست إلزامية أو مفروضة من القانون (Mukasa, 2003: 4). ويشترط فيه أن يكون معنياً بالرفع العام أكثر من أن يكون مقتصرًا فقط على أفراد العائلة والأصدقاء. وهو يتضمن العديد من العوامل، من بينها العلاقة الاجتماعية والتي تتمثل بشكل أساسي في طرفين على الأقل هما المانح والمتلقي، ومثل هذه العلاقة تتسم بالمرونة والتغير المتبادل، فمن الممكن أن يكون المانحون في وقت ما هم المتلقين، وقد يصبح المتلقون مانحين في يوم ما (موقع العطاء من أجل التنمية، ٢٠٠٩).

وهناك العديد من التوصيفات للقطاع الخيري التطوعي؛ ففي إنجلترا - على سبيل المثال - يسمى بالقطاع التطوعي، حيث تشكل الأعمال التطوعية والمجتمعية أساس العمل الخيري. ويتألف القطاع من مئات المنظمات التي يغطي أغلبها مجتمعات محلية محدودة. كما تستخدم أيضاً مفاهيم دالة على أثر العمل الذي يقوم به القطاع مثل "منظمات الصالح العام" (Public Benefit Organizations) في بولندا (Venables, 2009: 4). وهناك "القطاع الثالث" (Third Sector) الذي يقابل القطاعين العام والخاص، وهناك أيضاً "المجتمع المدني المنظم" (Organized Civil Society) الذي يهدف لإلقاء الضوء على الطبيعة الرسمية للمنظمات المجتمعية (Greenwood, 2007).

مما سبق، ينتهي الباحث لتعريف عام للتطوع علي أنه: فرض كفاية ذو بعد تنموي، يتسم بالجودة، ويقوم به الإنسان بشكل فردي أو مؤسسي، بمحض إرادته ودون مقابل، من واقع إيمانه وانتمائه وإحساسه بالمسئولية، بهدف مساعدة الآخرين وتحسين حياتهم، محتسبا الأجر عند الله.

ثانياً: أبعاد ثقافة التطوع

١. التطوع: لمحة تاريخية

بعد التطوع واحداً من أقدم الوسائل التي لجأ إليها الإنسان في التواصل مع المجتمع. حيث يرجع تاريخ التطوع إلى العصور الأولى من التاريخ القديم. فالتجمعات الإنسانية الأولى

التي اتخذت شكل القبائل والعشائر والأمم والمجتمعات هي جزء متأصل في ثقافة البشر ودلالة قوية على اعتماد الناس على بعضهم البعض في تخطي المشكلات والعقبات وتحقيق التقدم والازدهار (Strachwitz, 2002: 1; Anderson, 1971: 212). وقد دلت الصور والرسوم الموجودة على جدران معابد قدماء المصريين وقبورهم على أن العمل الاجتماعي التطوعي المتمثل في مساعدة الفقراء كان موجودًا لديهم. أما اليونانيون، فكان اهتمام أغنيائهم موجّهًا لرعاية أبناء السبيل وتوفير الطعام والمأوى للغرباء، وتقديم المساعدات للمحتاجين. وعند الرومان، كان العمل الاجتماعي التطوعي يتمثل في طبقة النبلاء، حيث يوزعون القمح على الفقراء عندما يشند القحط (عبد الله النعيم، ٢٠٠٠: ٢).

وفي العصر الجاهلي اشتهر العرب بإغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج ونصرة المظلوم. وعبر التاريخ الإسلامي، ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في العطاء والتطوع. فأبو بكر الصديق رضي الله عنه تبرع بجميع ماله وعثمان رضي الله عنه جهز عشرة آلاف مقاتل والفاروق عمر رضي الله عنه تبرع بنصف ماله وتبعهم الصحابة بالتبرع. وفي أوقات الغزوات تبرعت النساء بكل ما لديهن من حلي، وتبرع الفقراء بالقليل الذي لديهم (عبد الله النعيم، ٢٠٠٠: ٣).

وقد عرفت مصر العمل التطوعي منذ تاريخ طويل ناتج عن تراث تراكمي يعتمد أساسا على مفهوم الخير. وتعود بدايات ظهور المنظمات الأهلية في مصر إلى القرن التاسع عشر، حيث نشأت أول جمعية أهلية في مصر عام ١٨٢١م باسم الجمعية اليونانية بالإسكندرية. وبعدها توالي تأسيس الجمعيات (الهيئة العامة للاستعلامات المصرية، ٢٠٠٩). وحينما تعرضت مصر للاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م برزت أهمية الجمعيات الأهلية واستطاعت أن تنهض بدور رئيسي وفعال في مختلف المجالات الاجتماعية والتعليمية والصحية والثقافية (خالد عبد الله، ٢٠٠٦).

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر مر تاريخ العمل الخيري التطوعي في مصر عبر عدة مراحل مختلفة:

المرحلة الأولى (١٩٠٠م - ١٩٣٨م): بدأت مرحلة الانتشار عقب ثورة ١٩١٩م والتي حركت فكرة تأسيس منظمات غير حكومية تعمل على خدمة المجتمع وتوفر له احتياجاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الهامة، وتؤكد وجودها مع اعتراف دستور ١٩٢٣ في مادته رقم (٣٠) بحق المصريين في التجمع وتكوين جمعيات (الهيئة العامة للاستعلامات المصرية، ٢٠٠٩).

المرحلة الثانية (١٩٣٩م - ١٩٥٢م): ففي عام ١٩٣٩م تم تأسيس وزارة الشؤون الاجتماعية من أجل الإشراف على المنظمات غير الحكومية في مصر، وكانت المنظمات غير الحكومية في ذلك الوقت قد بدأت في الازدهار وازدادت أعدادها وأنشطتها، وفي الوقت ذاته كانت قد بدأت

في جمع التبرعات من شرائح المجتمع المختلفة دون أي رقابة، حتى صدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م والذي حظر جمع تبرعات إلا بالحصول على ترخيص من وزارة الشؤون الاجتماعية (موقع العطاء من أجل التنمية، ٢٠٠٩).

المرحلة الثالثة (١٩٥٢م - ١٩٧٤م): صاحب ثورة ١٩٥٢م صدور القانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٥٤م وكان أخطر ما في القانون أنه نقل اختصاص الرقابة على الجمعيات الدينية والثقافية والعلمية إلى وزارة الداخلية، وإلى المحافظين بدلا من وزارة الشؤون الاجتماعية. وفي عام ١٩٥٦م صدر القانون رقم ٣٨٤ المعني بالمنظمات غير الحكومية من أجل تعديل تشكيل تلك المنظمات وتأسيس اتحادات جديدة يكون دورها تنسيق ومراقبة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها المنظمات التطوعية (خالد عبد الله، ٢٠٠٦).

وفي عام ١٩٦٤م بدأت الحكومة مرحلة التخطيط الاشتراكي والشروع في الخطة الخمسية، وفي ذلك العام صدر القانون رقم ٣٢ الذي قصر دور المنظمات غير الحكومية على الرعاية والتنمية ويحظر عليها ممارسة أدوار النقابات، وتُظهر الأرقام أن تطور المنظمات غير الحكومية في الستينات كان منخفضاً للغاية ولم يتجاوز ٤٠٠٠ منظمة (موقع العطاء من أجل التنمية، ٢٠٠٩).

المرحلة الرابعة (١٩٧٥م - حتى الآن): وتتميز بوجود قاعدة عريضة من المؤسسات تشغل الفراغ الاجتماعي بين الدولة والسوق. وينتظر من تلك المنظمات القيام بعدد كبير من الوظائف الهامة كالمساعدة في توصيل الخدمات الإنسانية الحيوية مثل الصحة والتعليم والإرشاد ومساعدة الفقراء ومواجهة المشكلات التي لا تلقى اهتماما عاما وما إلي ذلك. وقد يتم ذلك في ظل شكل من الشراكة مع الدولة والسوق أو تتولاه تلك المنظمات على كاهلها وحدها.

من واقع ذلك، نلاحظ أن الخدمات التطوعية صارت جانباً ضرورياً وجزءاً لا يتجزأ من التنمية الاجتماعية. فنحن نرى المتطوعين في كل وجه من أوجه الحياة الاجتماعية مثل المساعدات الطبية في أوقات الأزمات، وإعادة بناء المنازل ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، والاهتمام بالتنمية الريفية وحماية البيئة وغيرها من الأشكال.

٢. أشكال العمل التطوعي

يُميز علماء الاجتماع بين شكلين من أشكال العمل التطوعي؛ الأول: السلوك التطوعي، ويُقصد به الممارسات التطوعية التي يمارسها الأفراد استجابة لظروف طارئة أو لمواقف إنسانية؛ من قبيل إسعاف جريح في حالة خطرة أثر حادث سير، أو السقوط من مكان مرتفع، أو إنقاذ غريق مشرف على الهلاك، أو مساعدة منكوب في زلزال أو حريق إلي غير ذلك. ومنطلق هذه الممارسات التطوعية هو الشعور الإنساني أو الموقف الأخلاقي أو الدافع الديني أو كل ذلك

معاً، دون انتظار لأي مردود مادي. والثاني: الفعل التطوعي، ويُقصد به الممارسات التطوعية الناتجة عن الإيمان بأهمية هذا العمل وضرورته، ولا يأتي نتيجة لحوادث طارئة وإنما هو عمل قائم بذاته. ومنطلقات الفعل التطوعي هي نفس منطلقات السلوك التطوعي. ويمكن تحديد أهم أنواع المشاركة في العمل التطوعي في الأبعاد التالية :

أ. المشاركة المعنوية: وذلك من خلال الدعم المعنوي للمشروع الخيري سواءً بالتشجيع، أو الدفاع عنه، أو التعريف به في المحافل العامة، إلى غير ذلك من صور المشاركة المعنوية التي تعد نوعاً من الدعاية غير المباشرة للعمل التطوعي.

ب. المشاركة المالية: ونعني بها دعم المشاريع الخيرية بالمال، حيث يمثل المال أحد مقومات نجاح الأعمال الخيرية، وقد ورد في القرآن الكريم أن المشاركة بالمال في سبيل الله تعد جهاداً، فقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون" (الحجرات: آية ١٥). وهذا يدل على ما للجهاد بالمال من كبير الأثر في النهضة والتقدم والازدهار في مختلف جوانب الحياة.

ج. المشاركة العضوية: ونعني بها أن يكون الفرد عضواً فعالاً في الأعمال التطوعية وذلك عبر انتسابه لإحدى مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وهذا يتطلب بذل الجهد، والتضحية بالوقت، والتفكير الجاد، وشحن الهمة من أجل خدمة المجتمع (مهدي القصاص، ٢٠٠٩).

فضلا عن ذلك، فإن العمل التطوعي قد يأخذ شكل مبادرات فردية أو يتخذ طابعا مؤسساتيا، فالعمل التطوعي الفردي هو سلوك، يمارسه أحد أفراد المجتمع من تلقاء نفسه، أو بمشاركة مع غيره. أما العمل التطوعي المؤسسي فهو سلوك منظم وأكثر استقراراً وتحقيقاً للأهداف من العمل الفردي، يعتمد في نجاحه على قناعة المجتمع بأهميته وثمرته، وعلى التخصص، والتنظيم، والتخطيط، والتطوير، واستقطاب الشخصيات الفاعلة المؤهلة (عادل الخوفي، ٢٠٠٩). وتتخذ هذه المؤسسات التطوعية أشكال عدة، منها:

أ. المؤسسة الخيرية: وتقوم على أساس وقف أموال معينة من العقارات أو المنقولات للإنفاق من ريعها على أغراض خيرية و منافع عامة لا تستهدف الربح، كإنشاء المستشفيات أو المدارس أو الملاجئ أو للإنفاق على بعض ما يكون موجوداً من هذه الهيئات بالفعل.

ب. الوقف: وهو أن يضع الشخص ماله -عقارا أو منقولا - أو جزءاً منه في حيازة شخص آخر يسمى (الأمين) أو يضعها في حيازة أكثر من شخص يكونون (مجلس الأمناء) ليقوم بتوظيف هذا المال واستثماره لمصلحة شخص آخر أو أكثر من أولاد الوصي أو

ذريته، بهدف صيانة ثروته وعدم تبديدها وهذا ما يسمى بالاستثمار (الأهلي) وقد يكون هدف الموصي هو تحقيق مصلحة عامة يختارها هو، وهذه الحالة تسمى الاستئمان الخيري.

ج. الجمعية: ويؤسسها عدد من الأشخاص (بحد أدنى كأعضاء مؤسسين يحدده القانون، كما يحدد مواصفاتهم)، بدافع حب الخير وخدمة الغير - أو خدمة أعضاء الجمعية، أو فئة اجتماعية ما - وتعتمد الجمعية في تمويل أنشطتها على اشتراكات الأعضاء وتلقي الهبات والحصول على المساعدات بما في ذلك المساعدات الحكومية، بخلاف المؤسسة الخيرية التي تقوم على أساس الوقف (كمال منصور، ٢٠٠٩).

٣. المردود الاجتماعي للتطوع

لا شك أن للعمل التطوعي أهمية كبيرة وجلييلة تؤثر بشكل إيجابي في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، ومن تلك الإيجابيات والآثار تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والأحوال المعيشية، والحفاظ على القيم الإسلامية وتجسيد مبدأ التكافل الاجتماعي، واستثمار أوقات الفراغ بشكل أمثل. بالإضافة إلى ذلك، يعد العمل التطوعي منطلقاً لأعمال الخيرية التي يقوم بها بعض الأشخاص الذين يشعرون آلام الناس وحاجاتهم الأمر الذي يدفعهم إلى تقديم التبرع بجهودهم وأوقاتهم وأموالهم لخدمة هؤلاء الناس، طلباً لتحقيق الخير والنفعة لهم (حميد القطامي، ٢٠٠٢). وعلى المستوى الاجتماعي يؤدي التطوع إلى تقوية الترابط والتكاتف بين أفراد المجتمع، وشعور الجماعة بحاجة الفرد وشعور الفرد بحاجة الجماعة، وتنمية روح التنافس بين الجماعات التطوعية بما يعكس جودة الخدمات.

ويعود التطوع بالنفعة على المجتمع ككل وعلى الشخص المتطوع ذاته. يتضح ذلك في دوره في تلبية الأولويات الثلاث التي وضعها إعلان كوبنهاجن وبرنامج العمل Copenhagen Declaration and Action Program، وهي: التكافل الاجتماعي Social Integration، والقضاء على الفقر Poverty Alleviation، وتوفير فرص العمل Full employment. وفي ظل هذا الطرح، يؤكد "بوتنام" Putnam أن تباين الأداء العام بين الدول المختلفة يرجع في نسبة كبيرة إلى الاختلاف في مدى مشاركة المواطنين التطوعية فيما يسمى "برأس المال الاجتماعي" Social Capital. فالاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي مرتبطين إلى حد كبير بالتفاعل الاجتماعي بنفس درجة ارتباطه برأس المال البشري والمادي (UN Volunteers, 6-7: 1999). يؤكد ذلك أن بمقدور أي فرد أن يتطوع، صغيراً كان أم كبيراً، ذكراً أو أنثى، سليماً أو معاقاً، عاملاً أو عاطلاً، فهناك دائماً شيء ما يمكنه القيام به، شريطة أن يكون على وعى بأهمية الدور الذي يتصدي له.

٤. معوقات العمل التطوعي

لم يحظ العمل التطوعي في أي ثقافة أجنبية بمثل المكانة التي حظي بها في الثقافة الإسلامية، ومع ذلك فإن ثقافة التطوع في المجتمع العربي المعاصر تتسم بدرجة متدنية من الفاعلية في معظم البلدان من المحيط إلى الخليج، وهو ما يدفعنا للتساؤل: لماذا هذا التذني في فاعلية التطوع وفي جدواه الاجتماعية في عالمنا العربي؟ إن مرد ذلك ربما يعود للعديد من الأسباب التي تحول دون الأداء الفاعل للمنظمات الخيرية، والتي نحاول إيجازها في العناصر التالية:

أ. **معوقات مرجعية:** هناك العديد من المعوقات المرجعية التي تؤثر سلباً على العمل التطوعي، والتي يمكن ردها إلى إشكاليات أربع:

الأولى: إشكالية التسييس التي تجلّت عندما سخرت السلطات الحاكمة كافة أنماط الخطاب الثقافي لخدمة سياساتها. فقد تفاقمت إشكاليات "تسييس" ثقافة التطوع؛ إذ ضاق الفرق بين ما هو طوعي وما هو إجباري حسب منطق السلطة، وهُمّشت الثقافة الدينية، أو أُختزلت في أفضل الحالات في مقولات مؤيدة لسياسة الدولة؛ الأمر الذي أدى إلى ضمور "ثقافة التطوع" بعد تهमيش منبعها الأكبر؛ وهو الثقافة الدينية الأصيلة.

الثانية: إشكالية اختلال الأولويات، حيث يولى اهتمام كبير بأفكار التطوع والعمل الأهلي في قضايا المرأة، والسلام، والبيئة أكبر من قضايا محو الأمية والبطالة والأمن الغذائي والصحة، التي تحتل أولوية متقدمة بالنسبة لمعظم المجتمعات العربية.

الثالثة: جمود الخطاب الفكري وتقليديته في ميدان التطوع: نظراً لما تعانیه قيادات العمل التطوعي من ضعف، وعدم قدرتها على إنتاج خطاب ثقافي يتسم بالفاعلية والتجديد والتجاوب مع متغيرات الواقع.

الرابعة: ازدواجية المرجعية المعرفية في هذا الميدان: تستند ثقافة العمل التطوعي في المجتمع العربي في قسمها الموروث إلى المرجعية التراثية الدينية، بينما تستند في قسمها الوافد إلى المرجعية الوضعية العلمانية (إبراهيم غانم، ٢٠٠١).

ب. **حملات الاتهام:** فهناك العديد من الدعاوى الجائرة التي تواجهها الجمعيات الخيرية. وقد اتخذ الضغط الغربي (الأمريكي خاصة) على العمل التطوعي والدعوي الإسلامي عدة أشكال منها:

الأولى: اتهامه بوجود علاقة بينه وبين الإرهاب. وقد أغلقت بعض المؤسسات الإسلامية الأمريكية؛ بزعم وجود هذه العلاقة. يؤكد ذلك ما أشار إليه المحامي الأمريكي وندل بيلو رئيس جمعية أصدقاء المؤسسات الخيرية في الولايات المتحدة وأوروبا في مؤتمر صحفي عقده قبل

ثلاثة أعوام في الرياض، حيث اتهم فيه بعض الجماعات والعناصر المؤثرة في صناعة القرار الأمريكي بالعداء للإسلام والمسلمين.

الثانية: تصفية المؤسسات الإسلامية أو إرهابها في الغرب والإيحاء إليها بخطورة العمل مع الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي. وقد جُمّدت مجموعة من المؤسسات في أمريكا وغيرها، كما صُفّيت مؤسسة الحرمين الخيرية.

الثالثة: الهجوم الصهيوني المتمثل في وسائل الإعلام والمنشورات المتتابعة التي تهدف إلى تسميم عقول الناس عامة والغربيين على وجه الخصوص إزاء العمل الخيري الإسلامي. يقول (ماثيو ليفيت) في شهادته أمام الكونجرس الأمريكي: "إن كل جمعية إسلامية سمعت بها في الولايات المتحدة هي واجهة لمنظمات إرهابية أو تمويل الإرهاب، كما أنه يزعم أن "السعودية تمويل الجماعات الإسلامية المتطرفة في الولايات المتحدة التي تمويل بدورها الإرهاب".

الرابعة: الحملة العلمانية والليبرالية التي يقودها البعض، ويريدون تصفية العمل الخيري الدولي متذرعين بحجج واهية يقصدون من ورائها تقويض العمل وتصفيته. وقد تجرأ هؤلاء في حملتهم على المؤسسات والعاملين فيها، ونادى بعضهم بإغلاق بعض المؤسسات الخيرية زاعماً أنها استنفدت الغرض من قيامها (مهدي القصاص، ٢٠١٠).

فضلا عن ذلك، فهناك العديد من المعوقات المتعلقة بالمجتمع والجمعية التطوعية والمتطوع نفسه، والتي سنعرض لها علي نحو أكثر تفصيلا في سياق عرض النتائج الميدانية للدراسة.

ثالثا: آليات ممارسة التطوع: جمعية كفالة اليتيم أنموذجا

تمثل منظمات المجتمع المدني ركنا أساسيا في مجتمع اليوم، جنبا إلى جنب مع القطاعين العام والخاص، وتتنوع بشكل كبير فيما بينها؛ من حيث بنيتها وعملها، وهي تمثل الآلية الأساسية التي يتم من خلالها ممارسة التطوع (Saeed, 2008:560).

فالقطاع التطوعي صار اليوم قطاعا ثالثا يقوم بدور الوسيط الرئيس بين الدولة والسوق. فهو بمثابة المؤسسة العامة التي تضع قوانينها الخاصة، كما أنها غير مقيدة بقيود البيروقراطية (المميزة لأجهزة الدولة) ولا يغلب عليها طابع النفع الاقتصادي (المسيطر على ممارسات السوق).

ويمكن النظر للمؤسسة الخيرية التطوعية - باعتبارها جزء من منظمات المجتمع المدني - أنها كيان يقوم على أهداف خيرية كلية للصالح العام، ويتسم بالاستقلالية وعدم التبرج من وراء توزيع التبرعات أو الخدمات، كما أنه غير موجه سياسيا. ويعرفها القانون البريطاني على أنها

"المؤسسة التي تقوم على أساس أهداف خيرية فقط، وتكون خاضعة لسلطات المحكمة العليا في سياق ممارساتها لإجراءاتها القضائية فيما يتعلق بعملها. وينظر إليها القانون الأسترالي على أنها مؤسسة لا تهدف للربح، يتم تنظيمها بحيث تقدم خدمات الإغاثة المباشرة لمشكلات مثل الفقر والمرض والكوارث والإعاقة... الخ، وهي لا تستجدي المجتمع ولا تستعطفه، بل إنها واجب أصيل والتزام أخلاقي لا حيد عنه (O'Halloran, K. et. al., 2008: 475).

ويعرفها القانون المصري علي أنها كل جماعة ذات تنظيم مستمر لمدة معينة أو غير معينة تتألف من أشخاص طبيعيين أو أشخاص اعتبارية أو منهما معا لا يقل عددهم في جميع الأحوال عن عشرة، وذلك لغرض غير الحصول على ربح مادي (قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية، ٢٠٠٢).

ويشير "بلمر" Bulmer إلى أن المنظمات الأهلية تتسم بأربعة ملامح رئيسية، أولاً: أنها تهدف للإسهام في الصالح العام، ثانياً: أنها تطبق طرائق منهجية علمية في المسائل الإنسانية وتتناولها بالتفسير بشكل علمي، ثالثاً: أنها تستخدم موارد وثروات كبيرة لتحقيق تلك الأهداف، ورابعاً: أنها تسعى لاعتراف وإدراك الرأي العام بمقصدها الخيري من القيام بذلك (Bulmer, 1995). وتتمتع الجمعية محل الدراسة بهذه الملامح باستثناء المؤشر الثاني (تطبيق طرائق منهجية علمية)، وهو ما يحد كثيراً مما يمكن أن تحققه.

وتتسم الجمعية بخمس سمات أساسية يري "سالامون" و"أنهيير" (Salamon and Anheier, 1996) أنها سمات مشتركة للمنظمات العاملة في الحقل التطوعي وهي: أنها كيان رسمي، يتم تنظيمها خارج نطاق الحكومات، أنها لا تسعى للربح، أنها تدار ذاتياً (self governing)، أنها في أغلب نشاطاتها تقوم علي العمل التطوعي باستثناء بعض المهام التي تتطلب موظفاً بأجر.

ويمكن تصنيف منظمات المجتمع المدني إلى فئتين رئيسيتين وفقاً لطبيعة عملها: منظمات إجرائية ومنظمات حقوقية. فالمنظمات الإجرائية تركز على إحداث تغييرات محدودة المدى من خلال تنفيذ مشروعات على مستوى المجتمع، ولها وجود قوى على مستوى القادة (التخطيط)، كما أن لها وجوداً على مستوى القاعدة (التنفيذ). في حين أن المنظمات الحقوقية تهدف إلى إحداث تغييرات كبرى وواسعة المدى من خلال التأثير على النظم السياسية وينصب جل اهتمامها على زيادة الوعي وتبيان أهمية حرية الرأي والتعبير وصناعة السياسات، الأمر الذي ينجم عنه غياب في نشاطاتها الميدانية (Saeed, 2008:560). والجمعية محل الدراسة هي تقع ضمن الفئة الأولى.

١. دور جمعية كفالة اليتيم وأهدافها

تتشترك منظمات المجتمع المدني أياً كان شكلها أو توجهها في أنها منظمات لا تهدف للربح Non-Profit Organizations تقوم على أساس تطوعي voluntary، وتقدم المعونات والمساعدات والمنح للأفراد أو الدول أو تقدم خدمات اجتماعية كالتعليم والرعاية الصحية ورعاية الأطفال... الخ (Stroschein, 2002).

وقد شهد فرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان منذ تأسيسه طفرة نوعية؛ من حيث تعدد الأنشطة وتنوع أساليب الدعوة إلى الله واستقطاب كوادر جديدة محبة للعمل التطوعي وعمل الخير، لدرجة أن المتطوعين من أهل القرية لم يكتفوا بإدارة اللجان الموجودة، بل سعوا لزيادة عدد اللجان التي تنتمي لفرع الجمعية والتي وصلت إلى ٩٠ لجنة. حيث ترعى اللجنة في الأساس أسر الأيتام والأسر الفقيرة وطلاب العلم الفقراء. ويحرص الفرع على التواصل الدائم مع اللجان في رعاية الأطفال الأيتام (مادياً وعينياً وروحياً وتربوياً). كذلك رعاية الأسر الفقيرة من خلال تقديم المساعدات المالية والعينية، ورعاية طالب العلم الفقير وتيسير زواج الفتيات اليتيمات ورعاية أصحاب الاحتياجات الخاصة والمكروبيين والأرامل، وهي الفئات المستهدفة.

وتتشترك منظمات المجتمع المدني عامة في أولويات ثلاثة: أولها توفير الخدمات الإنسانية، وثانيها تعزيز الثقافة والآداب، وأخيراً الدفاع عن المجتمع المدني من خلال منظماته الحقوقية (3: Kramer, 2000). وتركز الجمعية محل الدراسة علي أولوية واحدة من هذه الأولويات وهي توفير الخدمات الإنسانية، وذلك في ظل تخلي الدولة عن كثير من مهامها، فكان لابد من وجود مثل تلك الجمعية في محاولة لسد الفجوة التي حدثت. حيث تتمثل أهداف فرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان في الدعوة الخالصة لله عز وجل، بعيدة عن أي مقاصد سياسية واعتمادها في دعوتها على الكتاب والسنة المحمدية لنشر الوعي الإسلامي وترسيخ مفهوم أن الدعوة ليست بالأقوال فقط، ولكن بالعمل أيضاً. وأن الأمة لن تقوم لها قائمة إلا بعمل دعوب لإقامة فروض الكفاية والمساهمة في قضاء حاجات الناس. ومن أهدافها أيضاً العمل الصالح؛ والذي يتمثل في المشروعات الاجتماعية لمساعدة الأيتام والفقراء والمساكين وطلاب العلم الفقراء وأصحاب الاحتياجات الخاصة وذوى الحاجة. وأخيراً تهدف الجمعية للمشاركة في مواجهة قضايا الفقر والجهل والمرض وكل القضايا الإنسانية التي تتعلق برفع مستوى معيشة المواطن الفقير وتحقيق السلام الاجتماعي.

٢. تطور الجمعية

قد تبدأ المنظمة أو الجمعية بمجموعة صغيرة من الأفراد الذين لا يرون أنفسهم متطوعين بشكل نظامي في محاولة خلق استجابة لحاجة ما أو القيام بنشاط تطوعي محدد. وفي أثناء ذلك تبدأ في التكون كشكل من أشكال البنية التحتية التي تساعدهم على تسيير نشاطاتهم. ثم يبدأ في

توظيف أشخاص آخرين للقيام ببعض العمل أو يحاولوا جذب مزيد من المتطوعين. ومع مرور الوقت تنمو نشاطات وأدوار عمل المنظمة وقد تبدأ في عمل فروع لها في أماكن أخرى (Gaskin, 2001: 19).

وعلى هذه الشاكلة نشأت ونمت الجمعية محل الدراسة. فقد بدأ نشاط الجمعية الشرعية في القرية بانطلاق مشروع كفالة الطفل اليتيم الذي يخدم مئات الأسر التي فقدت عائلها. حيث يقوم المشروع برعاية الأطفال الأيتام من جميع النواحي المادية والنفسية والتربوية رعاية كاملة، وذلك من خلال تأسيس لجنة الإخلاص بقرية ببيان والتابعة لفرع الرحمانية (مدينة بمحافظة البحيرة) في يونيه ١٩٩٨. وقد أسس هذه اللجنة مجموعة من الشباب المتطوع. حيث قام هؤلاء المتطوعين بحصر الأطفال الأيتام، وتقديمهم بملفاتهم إلى فرع الجمعية الشرعية بالرحمانية لتأسيس لجنة الإخلاص بقرية ببيان. وظل هؤلاء المتطوعين يطمحون في المزيد ويفكرون في تأسيس فرع للجمعية الشرعية بقرية ببيان؛ نظراً لأن فرع الرحمانية يبعد عن القرية بمسافة ٨٠ كم، مما يؤدي لصعوبة تواصل اللجنة مع فرع الرحمانية. لذلك بدأت فكرة عمل فرع للجمعية الشرعية بقرية ببيان لتخفيف الأعباء عن لجان مراكز كوم حمادة والدلنجات وبدر التابعة حينذاك لفرع الرحمانية. وقد تقدم أعضاء لجنة الإخلاص بطلب تأسيس فرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان وتم إشهاره بمديرية الشؤون الاجتماعية بدمنهور (عاصمة محافظة البحيرة) في ٢٦/٤/٢٠٠٤ تحت رقم ٩٦٠. وقد بدأ الفرع عمله بداية قوية بجهود المتطوعين، حيث ضم الفرع عدد خمسين لجنة بقرى مراكز كوم حمادة والدلنجات وبدر. ويعمل بالفرع عمالة ثابتة بأجر: محاسب وإداري ومدرسي الحضانه والسائقين، وعمالة ثابتة متطوعة: مجلس إدارة الفرع والمشرفون على اللجان والمشرفون المتطوعون (المشرفون على المشروعات باللجان)، والعمالة المساعدة في إدارة المشروعات (عمالة مؤقتة متطوعة).

رابعاً: نماذج عالمية للتطوع

في ظل التوجه الإثنولوجي الذي تتبناه الدراسة، والذي يقوم في جانب منه علي المقارنة بين الثقافات المختلفة، نعرض هنا لبعض النماذج العالمية للتطوع بهدف الخروج بصورة مقارنة بين واقع التطوع في مجتمعنا (والذي نتناوله بالتحليل في الجزء الميداني من الدراسة) وبين واقع التطوع في العالم بغية الاستفادة منها في مسعانا لتطوير والارتقاء بالعمل التطوعي. فقد بات العمل التطوعي يحظى بالاهتمام المتزايد على المستوى العالمي. فمعظم دول العالم تتناول هذا الموضوع وتتدارسه بطريقة أو بأخرى. كما أن هناك اهتمام لم يسبق له نظير بالقوانين المنظمة لممارساته في السنوات القليلة الماضية. هناك أيضاً مداوات عديدة جارية على كافة المستويات؛

الدولية والوطنية وداخل القطاعات التطوعية نفسها حول أفضل البيئات التي تمكّن المنظمات التطوعية من العمل فيها. كما يوجد قدر كبير من الحوار حول طبيعة الهيئات التي يمكنها أفضل من غيرها أن تنظّم الممارسات التطوعية. وبطبيعة الحال، فإن كل بلد أو منطقة تختلف عن غيرها ويتوجب عليها أن تجد الأجوبة التي تناسب احتياجاتها. لكن من الأهمية بمكان أن يتقاسم الجميع أفكارهم وخبراتهم، وأن تعمل معا حتى يكون التنظيم الذي تطوره تنظيما فعّالا؛ أي تنظيما يساعد المنظمات التطوعية على تحسين حياة الناس في كافة أنحاء العالم. ونعرض هنا لبعض من تلك النماذج العالمية.

١. نماذج غربية

ونعرض فيها لثلاث دول هي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وانجلترا.

أ. التطوع في الولايات المتحدة الأمريكية

يرتبط العمل التطوعي في الولايات المتحدة بشكل وثيق بإتاحة فرص أفضل للتعليم والثقافة المجتمعية. حيث تقوم بعض الجماعات التطوعية بتنظيم لقاءات دورية مع الآباء محدودي الدخل ومناقشة قضايا مثل الجرائم المحلية وأحداث العنف والإساءة للأطفال والنساء. وبذلك تزيد معلوماتهم عن تلك القضايا وعن الطريقة المثلى للتعامل معها. من ناحية أخرى، فهي ترعى مشروعات لمساعدة المجتمعات المحلية على إدراك أهمية الحفاظ على البيئة، كما تستعين بمهنيين متقاعدين لتقديم خدمات طبية للجماعات التي لا تستطيع الحصول على تلك الخدمات. وقد ظهرت فكرة العطاء في أمريكا في شكل مساعدة الجيران وتقديم يد العون لهم. ومع مجيء الثورة الصناعية، حققت الكثير من الأسر ثروات طائلة من وراء صناعة الفولاذ والسكك الحديدية وشركات الفحم. وقد أصبحت تلك العائلات بمثابة الجهات الرئيسية المانحة في الولايات المتحدة. وصارت تقاليدهم في العطاء هي السبب الرئيس الذي جعل الكثيرين يظنون أن العمل الخيري التطوعي لا يكون إلا من خلال التبرع بالمال. ومن هذه العائلات؛ "كارنيج" Carnegie و"روكفلر" Rockefeller و"كيلوج" Kellogg و"فورد" Ford وغيرهم. حيث أنشأت كل تلك العائلات مؤسسات كبيرة بغية استمرار أعمالهم الخيرية (National Network for Youth, 2003: 184).

ويمثل الأفراد المصدر الرئيس لجمع التبرعات في الولايات المتحدة. حيث تدل الإحصائيات، على أن تبرع الأفراد في عام ١٩٩٢م بلغت نسبته (٨٢%) تقريباً من إجمالي المبلغ الذي تم جمعه، والذي وصل إلى (٢٤.٣) مليار دولار. كما بلغت وصايا الإرث (٦.٦) مليار دولار، أي أن مساهمة الأفراد في عام ١٩٩٢م وصلت نسبة (٧٨.٦%) من إجمالي العام. وما يشجع الأفراد على التبرع، الحق الذي أعطاه التشريع للمتبرع في خصم جميع المبالغ التي يقدمها كضريبة دخل، بما يعرف في أمريكا بالمأوى الضريبي Tax shelter (عبد الله الخطيب، ٢٠٠٢: ٢٧٧).

ومن واقع خبرتي ومعايشتي للمجتمع الأمريكي في تسعينات القرن الماضي أثناء إعدادي لأطروحة الدكتوراة، لاحظت أن التطوع ممارسة وخبرة يومية يقوم بها الصغير والكبير في هذا المجتمع. وأول ما لاحظت كان في الجامعة؛ حيث يقوم بعض الشباب الأمريكي بتعريف الطلاب الأجانب بالأنشطة التي يمكن ممارستها وأماكن الدراسة والترفيه، حتى التطوع في الدعوة لفكر أو عقيدة ما. ففي عيد الشكر Thanks Giving، يقوم عدد من الشباب من الجنسين بزيارة الطلاب الذين يسكنون المدن الجامعية وكنت أنا واحداً من هؤلاء، فيقدموا إلينا الهدايا، ويعرضوا مساعدتهم لأي مشكلة تواجهنا. وأثناء تلك الجلسة، يتحدثون عن المسيحية ويدعوننا إليها. ومن الطريف أنني وزوجتي بعدما انتهوا من حديثهم، بدأنا نحدثهم عن الإسلام، ودعوناهم لزيارتنا في المركز الإسلامي في يوم الجمعة، وسماع الخطبة. وصارت بيننا علاقة مكننتي من دعوتهم وزملائهم للإسلام. وأصبحت أنا متطوعاً من أجل الدعوة إلى الله عز وجل.

أما كبار السن، فكانوا يتطوعون بتعليمنا اللغة الإنجليزية من خلال فصول في الانترنتاشونال سنتر. وبعد توطيد العلاقات، تتم دعوتنا لحفلات عشاء في منزل المسن، يكون فيها المصري والصيني والانجليزي والكوري والألماني وغيرهم. حيث يحضر كل فرد معه نوع طعام خاص بمجتمعه ويعبر عن ثقافته، فيحدث نوع من الألفة يساعد في تحقيق التجانس والسلام الاجتماعي بين الهويات المختلفة في المجتمع الأمريكي. أي أن المسنين في المجتمع الأمريكي يحققون الاستقرار لمجتمعهم، مما يسهم في ازدهاره. وفي نفس الوقت يشغلوا وقت فراغهم ويستبدلوا الوحدة والأمراض النفسية بنشاط اجتماعي ينقل لهم ثقافات مختلفة من العالم (١٤٧).

ب. التطوع في كندا

يعد التطوع في كندا تعبيراً هاماً عن المواطنة وعنصراً أساسياً في الديمقراطية. فهو يمثل التزام الشخص ببذل جزء من وقته وطاقته لصالح المجتمع دون مقابل. وترتبط درجة المساهمة التطوعية بمدى فهم الشخص والمجتمع لهذا المبدأ الأساسي. وهو يأخذ الشكل الرسمي الذي يتم

من خلال المنظمات التطوعية العامة والخاصة، كما قد يحدث بشكل غير رسمي من خلال المشاركة المجتمعية.

ويتطوع الأفراد في كندا لأسباب عدة منها، أنهم قد يقوموا بالتطوع بغية تنمية مهاراتهم أو اكتساب خبرات معينة، أو لتنمية الحس الاجتماعي، أو للإيفاء بحق مجتمعهم. وهم كذلك يتطوعوا لأنهم يشعرون بواجب والتزام أخلاقي يدفعهم للمشاركة في العمل التطوعي، أو دعماً لقضية ما. وما يجمع بين تلك الدوافع على اختلافها هي أن التطوع يتم بمحض إرادة الفرد دون أي قهر أو إجبار خارجي يدفعه للقيام بذلك (4: 2008, Volunteering Compact Code).

ج. التطوع في إنجلترا

يقوم التطوع في إنجلترا على أساس الاختيار الحر من جانب الشخص. فهو الذي يقوم مختاراً بعمل أو بإسهام بهدف التضامن الاجتماعي. وهو يؤكد على المساعدة الجماعية والتبادلية. فالعمل التطوعي ليس تجارياً بحال من الأحوال، وهو يدعم التبادلية أكثر من النزعة الاستهلاكية الفردية (4: 2004, Severn).

ويتطوع المواطن الإنجليزي لأن هناك التزام "سياسي" مبدئي للفرد تجاه مفهوم العمل التطوعي. وهو من القيم الأصيلة للعمل المجتمعي عامة الذي يمكن اعتباره مبدأ توجيهي عام. كما أن هناك الأثر الذي ينجم عن التطوع وفاعلية بنيته التحتية، وهو ما يتمثل في آليات الدعم والترقية والتدخلات والحملات والنشاطات التي تعزز نمو واستمرارية ونجاح العمل التطوعي. كذلك العائد الاجتماعي والمجتمعي الأعم الناجم عن النشاط التطوعي، فضلاً عن المكاسب الشخصية التي تعود على الفرد من قبل قيامه بالتطوع.

وفي ظل التعددية العرقية التي يتسم بها المجتمع الإنجليزي نظراً لمعدلات الهجرة الكبيرة إليه - شأنه في ذلك شأن العديد من الدول الغربية - فالتطوع هنا يهدف لتحقيق التعددية الثقافية؛ فهو نشاط يشجع الأفراد القادمين من خلفيات مختلفة ومجتمعات محلية متباينة للقاء ومساعدة بعضهم البعض. كما يساعدهم على إدراك طبيعة مجتمعهم الجديد واحتياجاته الفعلية، والحياة معاً بشكل أكثر تجانساً، وهو نشاط يتضمن الجماعات المهمشة وغير الممثلة في الفعاليات العامة التقليدية؛ لكونه نشاط يدعم المشاركة المجتمعية، والانخراط بشكل أكثر فاعلية ومباشرة في القضايا الاجتماعية العامة (11: 2004, Severn).

٢. نماذج أسبوية

ونتناول فيها بالعرض روسيا والصين والهند.

أ. التطوع في روسيا

يرى العديد من الباحثين الروس أن القرن السابع عشر كان نقطة التحول في التوجه نحو حركة التطوع. ففي تلك الفترة، أنشأت الإمبراطورة "كاترين" Catherine أول ملاجئ للأيتام في الإمبراطورية الروسية، كما وضعت أسساً لأفكار جديدة للعمل الخيري. ثم تطور في بدايات القرن العشرين أثناء الحقبة السوفيتية، بدأت في الظهور المنظمات التطوعية (مثل "بيونيرز" Pioneers و"تيمورفتي" Timurovtay و"كومسومولتي" Komsomoltey) إلا أن تلك المنظمات كانت منظمات حكومية ذات خلفية أيديولوجية صارمة. وكان الهدف الأساسي منها هو تشجيع الوعي الاجتماعي الموجه بين شباب المواطنين. وكانت معظم الأعمال التطوعية تتمثل في مساعدة الكبار أو المعاقين والقيام ببعض الأعمال اليدوية في أوقات فراغهم... الخ. وفي الفترة من ثلاثينات إلى سبعينات القرن العشرين، كان يتم إرسال أشخاص لبلاد مثل كازاخستان وسيبيريا، بهدف تنمية وبناء هذه الأجزاء من الإتحاد السوفيتي. حيث قام هؤلاء المبعوثين ببناء السكك الحديدية والمباني، وقد كان التطوع يتم بشكل إجباري ودون مقابل، حيث ساد ما يمكن أن نطلق عليه "التطوع القهري" Forced volunteering. وفي نهاية الحقبة السوفيتية، توقفت أغلب الحركات التطوعية عن العمل. ومع عقد التسعينات، كان هناك إعادة ميلاد للمنظمات التطوعية في روسيا. حيث وضعت حكومة روسيا الاتحادية مجموعة من القوانين المتعلقة بمنظمات المجتمع المدني والمنظمات الاجتماعية. والآن، تعمل المنظمات الأهلية الروسية بشكل فاعل. فهي تنظم وترعى معسكرات عمل تطوعية وحلقات بحث وتدريب، كما تدعم الحركات الاجتماعية للشباب وتعمل على تعزيز وتحسين صورة التطوع وتنتشر المعلومات المتعلقة بحركات التطوع، وتسعى لزيادة عدد المتطوعين (European Youth Foundation, 2005: 11).

ب. التطوع في الصين

يرى بعض الصينيين أن الأعمال الصالحة في حياتهم اليومية تعد خدمات تطوعية. في حين يرى البعض الآخر أن مجرد التبرع بالمال دون أي اشتراك بدني أو انفعالي لا يمكن أن نعتبره عملاً تطوعياً. ويسود في المجتمع الصيني الاعتقاد بأن العمل التطوعي هو ذلك النوع من الأعمال غير الهادفة للربح وغير مدفوعة الأجر التي يقوم بها الإنسان بهدف تحسين حياة الآخرين من جيرانه وجماعته المحلية ومجتمعه ككل.

وتتظر رابطة المتطوعين في الصين للمتطوعين على أنهم "الأشخاص الراغبون في تقديم خدمة أو مساعدة للمجتمع أو للآخرين، ليس لأغراض مادية؛ بل من واقع شعورهم بالضمير والإيمان والمسئولية. وفي الصين هناك مسميات مختلفة للمتطوعين. ففي هونج كونج يطلق على المتطوعين (Y I Gong) أي عمال الواجب، وفي تايوان يطلق عليهم (ZHI Gong) أي عمال الإدارة (Manual for Beijing Olympic Volunteers, 2008: 3-4).

ويرجع تاريخ التطوع في الصين إلى آلاف السنين. فتقافة التطوع متأصلة بعمق في التقاليد الصينية. نجدها تظهر في كتابات المفكرين الصينيين القدامى مثل "كونفشيوس" Confucius الذي يرى أن "الإحسان والحب" هما أسما المعايير الأخلاقية للرجل الشريف (JUNZI). كما يرى أن الإنسان يجب عليه الوفاء بالتزاماته نحو مجتمعه، وأن أهم تلك الالتزامات هو حب الآخرين. وأنه لا بد وأن يكون له قلب محب حتى يتمكن من الوفاء بالتزاماته المجتمعية. ويرى "مينفشيوس" Mencius أنه لا بد من نشر الخير، ويؤكد ذلك بمقولته "احترم الكبار في أسرتك وفي غير أسرتك، وارعي الصغار في أسرتك وفي غير أسرتك". كما ذكر كتاب الكونفشيوس الشهير (LI JI- LI YUN): "عندما تنتشر الحقيقة في العالم، سيعم السلام، فلا يجب إذن أن يقف الإنسان عند حدود أسرته ولا أن يرمى ويهتم بأطفاله فقط". ومن كل تلك الفلسفات القديمة تعلم الصينيون أن يهتموا بالآخرين ويساعدوهم. لذلك، فليس من المستغرب أن تجد نسبة كبيرة من الصينيين من سن ١٨ سنة فما فوق، منخرطين في نشاطات تطوعية، وتصل تلك النسبة إلى (٨٥%) وفقاً لإحصاء قام به معهد التنمية الاجتماعية ولجنة تخطيط التنمية الصينية في عام ٢٠٠١م (Aoki, 2008: 1).

ج. التطوع في الهند

يعود تاريخ التطوع في الهند إلى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد. حيث نجده مذكوراً في وثيقة "الريج فيداس" Reg Vedas التي تذكر أنه كان المصدر الرئيس للرعاية والتنمية الاجتماعية في الإمبراطوريات الهندية التي اهتمت بتوفير نظم رعاية اجتماعية جيدة (Sen, 1993: 3). وتزداد أهمية التطوع في الهند كبديل ووسيلة فعالة لتعزيز ودعم التنمية وإحداث التغيير في ظل العجز النسبي للنظام الرسمي واقتصاد السوق عن وضع حد للفقر وعدم المساواة المنقشية في المجتمع الهندي^(١٥٦). لذلك فقد صار هناك نموا ملحوظاً للمنظمات التطوعية في الهند بدأت إرهاباته الأولى منذ استقلالها في عام ١٩٤٧م (Sharma, et al, 1996: 453).

ويوجد الآن في الهند ١.٢ مليون منظمة، أغلبها منظمات ريفية صغيرة، ونصفها غير مسجل في السجلات الرسمية، يقوم ٢٥% منها على أساس ديني، ٢١% يهتم بالخدمات الاجتماعية للمجتمع المحلي والمجتمع ككل، ٢٠% يهتم بالتعليم، وتضم ٢٠٧ ألف موظف مدفوع الأجر، وما يقرب من ٤٠% من الأسر يتبرعوا لأسباب خيرية والفقراء يتطوعون بمعدل أكبر (Voluntary Sector in India, 2005: 4).

وبالرغم من أن العديد من أشكال المنظمات (مثل الوقف الديني وروافد رجال الأعمال والتجمعات الثقافية) قد يتم تصنيفها قانونياً على أنها كيانات غير متربحة، فإن الأكاديميات الهندية والهيئات الرسمية لا تعتبر المنظمات تطوعية إلا إذا كانت ذات توجه تنموي. أما

الأشكال الأخرى من المنظمات والجمعيات، فإنها تخدم اهتمامات ضيقة لطبقات اجتماعية خاصة ومحدودة، لذلك لا يتم اعتبارها تطوعية (Sheth, 1991: 50-51).

٣. نماذج عربية

ونخص بالذكر في النماذج العربية المملكة العربية السعودية ودولة الكويت وسوريا.

أ. التطوع في المملكة العربية السعودية

ينظر للتطوع في المجتمع السعودي علي أنه الجهد المنظم الذي يقوم به الفرد والمجتمع بهدف تحقيق أعمال مشروعة دون فرض أو إلزام، سواء كان عطاء مادياً أو عينياً أو بدنياً أو فكرياً ، ودافع ذلك ابتغاء مرضات الله تعالى.

ويعتبر العمل التطوعي في المملكة جزء من ثقافتها وتقاليدها التي تعتمد بشكل أساسي على العقيدة الإسلامية ومبادئها السامية، وقد عرف العمل التطوعي في المملكة منذ وقت مبكر وأخذ أشكالاً متعددة منها الفردية والعائلية والقبلية، إلا أنه بدأ يأخذ شكله المنظم عقب توحيد البلاد على يد مؤسسها الملك عبد العزيز آل سعود وتوجهه إلى بناء مؤسسات الدولة، فأُنشئت في عام ١٩٣٥م جمعية الإسعاف الخيري في مكة المكرمة وانحصرت خدماتها في تقديم الخدمات الإسعافية للحجاج في مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة جدة. إلا أنه في عام ١٩٦٣م صدر مرسوم ملكي بإنشاء جمعية الهلال الأحمر السعودي كتطوير لجمعية الإسعاف الخيري وأصبحت مؤسسة حكومية واعترف بها دولياً وأصبحت العضو الحادي والتسعين في اتحاد جمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر الدولية (فايق الضرمان، ٢٠٠٧: ٢١).

وقد زاد ازدهار العمل الخيري والتطوعي خاصة عقب إنشاء وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٩٦٠م، وبدأت في إصدار اللوائح المنظمة للعمل التطوعي الخيري حيث صدر في عام ١٩٦٢م نظام الجمعيات والمؤسسات الخيرية الاجتماعية والأهلية لتنظيم أعمال هذه الجمعيات والمؤسسات التي تزايد انتشارها في مختلف مناطق المملكة وتكونت في نفس العام الجمعية النسائية الخيرية بمدينة جدة ، وجمعية النهضة النسائية بالرياض ، كما أنشأت في عام ١٩٦٧م جمعية تاروت الخيرية للخدمات الاجتماعية بالمنطقة الشرقية (مركز البحوث والدراسات بالغرفة التجارية الصناعية بالرياض، ٢٠٠٣: ٨).

ويبلغ عدد الجمعيات الخيرية في الوقت الحاضر (١٩٢) جمعية. كما يبلغ عدد العاملين والعاملات بها نحواً من (٦٠٠٦) موظفاً وموظفة كما أن مصروفاتها زادت عن (٦٨١) مليون ريال وقد تمكنت الجمعيات الخيرية خلال عام ١٩٩٨م-١٩٩٩م من تنفيذ الخدمات والبرامج والمشروعات، منها: برامج التعليم والتدريب والتأهيل، برامج الرعاية الصحية، رعاية المعاقين

وكبار السن، برامج الإغاثة، البرامج الثقافية مثل تحفيظ القرآن الكريم، والمكتبات العامة، وإقامة ندوات ومحاضرات وأمسيات دينية وثقافية (فايق الضرمان، ٢٠٠٧: ٢٣).

ب. التطوع في دولة الكويت

مر العمل التطوعي في دولة الكويت بثلاث مراحل عبر تاريخها نوجزها فيما يلي:

أولاً: العمل التطوعي الفردي: يعتبر العمل التطوعي الفردي في دولة الكويت، أولى المراحل نظراً لصغر المجتمع وبساطة تكوينه، فلم يكن آنذاك مؤسسات حكومية تدير شؤونه أو مؤسسات أهلية تساهم في بنائه، بل كان الجميع رجالاً ونساءً، حكماً ومحكومين يساهمون في بناء المجتمع، وكان العمل التطوعي جهوداً ذاتية كل حسب طاقته وقدراته.

ثانياً: العمل التطوعي الجماعي: مع وجود العمل التطوعي الفردي في الكويت قديماً، وجد كذلك العمل التطوعي الجماعي الذي كان يتميز بالعفوية والبساطة وتكاتف أبناء المجتمع وتلاحمهم وتعاونهم، ولم يأخذ الجانب المؤسسي آنذاك لصغر المجتمع وقلة إمكاناته. وكان العمل التطوعي الجماعي في ذلك الوقت يعرف بتطوع الفرعة والذي يفرع فيه أبناء المجتمع بصورة جماعية لحل مشكلة ما أو تقديم خدمات لمحتاجين أو مكروبين.

ثالثاً: العمل التطوعي المؤسسي: بدأت ملامح العمل التطوعي الجماعي المؤسسي في الظهور في دولة الكويت مع مطلع القرن العشرين نظراً لأهمية موقع الكويت الاستراتيجي المطل على الخليج. وتعد أول مؤسسة تطوعية في الكويت المدرسة المباركية، وهي مؤسسة تعليمية ثقافية ساهم أبناء الكويت في دعمها مالياً كما ساهموا بالتعليم فيها وإدارتها، وتوفير كافة احتياجاتها، وكان ذلك في عام ١٩١١م، ثم توالي بعد ذلك إنشاء الجمعيات والمؤسسات (عبدالله متولي، ٢٠٠٧).

ومنذ مطلع الستينات شهدت الكويت مرحلة تغيير وتحول في العمل التطوعي في شكله المؤسسي مع بداية ظهور النفط والاستقلال عام ١٩٦١م. وبدأ هذا العمل رسمياً مع إصدار القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٢م والذي حدد الشروط الواجبة لإشهار الجمعيات والنوادي والدعم الحكومي المخصص لها وفق الأهداف الإنسانية والخيرية المعلنة لها. وتعد جمعية المهندسين الكويتيين أول جمعية أهلية غير حكومية تأسست في عام ١٩٦٢.

ومع الغزو العراقي كان هناك ٥١ جمعية نفع عام عاملة، وبعد التحرير أشهرت ثلاث جمعيات هي على التوالي: الجمعية الكويتية التطوعية النسائية لخدمة المجتمع عام ١٩٩١م، والاتحاد الكويتي للمسارح عام ١٩٩٣م، والاتحاد الكويتي للجمعيات النسائية عام ١٩٩٤م. وكان الدعم الحكومي السنوي المقدم لهذه الجمعيات عبر وزارة الشؤون الاجتماعية يتراوح بين ١٢ ألف

دينار و ١٨٠ ألف دينار كويتي يخضع بالطبع لحجم النشاط الذي تقوم به الجمعية (عبد الله النعيم، ٢٠٠٦: ١٥-١٦).

ج. التطوع في سوريا

أخذت التجربة التطوعية في سوريا أشكالاً متعددة في العقود الأخيرة حيث توزعت مابين الجمعيات الأهلية والمنظمات والإتحادات الطلابية والعمالية وشملت الأعمال التطوعية لهذه الجهات مجالات متنوعة اجتماعية وبيئية وطبية وخدمية، حيث بدأت الجمعيات قبل الاستقلال بفترة طويلة في شكل نشاطات أهلية يقوم بها الناس بدافع ذاتي وعلى أساس الشعور بالواجب وعمل الخير. ومع الاستقلال، تطور عمل المنظمات والهيئات الأهلية تبعاً للتغيرات السياسية والاقتصادية، حيث ظهرت تيارات واتجاهات تنادي بالإصلاح الاجتماعي ووضع أنظمة التكافل الاجتماعي والخدمة الاجتماعية (الوكالة العربية السورية للأنباء، ٢٠٠٩).

وبعد أن وضعت دراسات عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في سورية سنة ١٩٥٧ بمساعدة فنية من مكتب العمل الدولي، صدر قانون التأمينات الاجتماعية رقم ٩٢ لعام ١٩٥٩. وبالعودة إلى الإحصاءات الرسمية لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل تبين أن عدد الجمعيات بلغ ٤٠٨٩ جمعية سنة ١٩٩٤. غير أن هذا الرقم يضم كافة الجمعيات والمؤسسات الحكومية وشبه الحكومية والأهلية. في حين بلغ عدد الجمعيات الأهلية بالمعنى الحصري والتي تملك استقلالاً نسبياً عن الدولة ٦٢٥ جمعية سنة ١٩٩٨. ولعل هيئات الرعاية الاجتماعية هي من أكثر المنظمات الأهلية إسهاماً في عملية التنمية البشرية نظراً لما تقدمه من تأهيل وتدريب وخدمات لفتني الأطفال والنساء. فالمتوسط الشهري لعدد المستفيدين من خدماتها خلال السنوات ١٩٩٠. ١٩٩٨ يصل إلى ٥٤٠٠ شخص شهرياً، رغم أن نسبة هذه المنظمات لا تتجاوز ١٨% من إجمالي عدد المنظمات الأهلية في سوريا (كريم أبو حلاوة، ٢٠٠١).

٤. نماذج لمؤسسات تطوعية

وفيها نعرض لبعض المؤسسات التي لها تجارب رائدة في مجال العمل التطوعي؛ وهي مؤسسة كارنيج بنيويورك، مجموعة الأوقاف الخيرية لعائلة سينسبوري، مؤسسة أسيمة للوقف الخيري، جمعية رسالة، المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

أ. مؤسسة كارنيج بنيويورك Carnegie Corporation of New York

تم إنشاء هذه المؤسسة الخيرية في عام ١٩١١م بهدف الترويج لتقدم وانتشار المعرفة. وهي واحدة من أكثر وأقدم المؤسسات الخيرية الأمريكية وأكثرها تأثيراً. وإسهامات المؤسسة كثيرة من أهمها :

- التوسع فى التعليم العالى وتعليم الكبار .
- التقدم فى البحث المتعلق بالتعليم والنمو المعرفى فى مرحلة الطفولة المبكرة .
- الترويج للتعليم والأمور المتعلقة بالصالح العام .
- الدفاع عن حق الأقليات والنساء فى التعليم الإلزامى والتعليم العالى .
- إلقاء الضوء على الحاجات الصحية والتعليمية للأطفال والمراهقين .
- البحث فى مخاطر مجابهة الحروب النووية والنزاعات العرقية والأهلية .

وقد ساعدت مؤسسة كارنيج على تأسيس وتعزيز العديد من المؤسسات المتنوعة بما فى ذلك مكاتب كارنيج العامة ، المجلس القومى للبحوث ، مركز البحوث الروحية فى جامعة هارفارد، ورشة عمل تليفزيون الأطفال ، وقد دعمت لسنوات عديدة مؤسسات خيرية أخرى ، خاصة "مؤسسة كارنيج للترويج للسلام الدولى" Carnegie Endowment for International Peace و"مؤسسة كارنيج للتقدم فى التدريس" Carnegie foundation for the Advancement of Teaching ، و"معهد كارنيج للعلوم" Carnegie Institution of science. كما كان للمؤسسة دور فى تمويل كتابة الكتب والدراسات وتنظيم المؤتمرات والتبادلات الدولية وغيرها من النشاطات الأخرى . ومن خلال نشاطاتها المتنوعة، كان للمؤسسة أثر كبير على إتاحة المعلومات والمعارف للمواطنين والحكومات . لذا فهي تتمتع بتأثير كبير على الرأى العام والسياسات العامة (Carnegie Corporation of New York, 2009).

ب. مجموعة الأوقاف الخيرية لعائلة سينسبورى

The Sainsbury Family Charitable Trusts

مجموعة الأوقاف الخيرية لعائلة سينسبورى هى المكتب التشغيلى لثمانية عشر (١٨) مؤسسة وقفية مانحة، تم إنشائها من قبل ثلاثة أجيال متعاقبة من عائلة سينسبورى. وتمثل التبرعات التى تقدمها المجموعة عبر مؤسساتها الوقفية المختلفة لأغراض الخيرية واحدة من أبرز الأمثلة على العمل الخيرى فى بريطانيا. وتعمل كل مؤسسة وقفية تابعة لهذه المجموعة بشكل ذاتى ككيان قانونى مستقل بذاته له مجلس إدارة منفصل من الأمناء ويقوده أحد أفراد العائلة.

وللمجموعة عبر مؤسساتها الوقفية دور نشط فى القيام بالتبرعات وتوظيف العديد من الباحثين والمستشارين المتخصصين لإثراء البحث فى القضايا مثار للاهتمام بالنسبة لها . كما تعمل العديد من مؤسساتها الوقفية مع العديد من الجهات والأفراد لفترات معينة لتحقيق أهداف محدودة . ولا تقوم المؤسسات الوقفية بإعطاء دعم مباشر للأفراد أو على مصروفات التعليم أو البعثات، بل إنها تمول وتبرع فقط للمؤسسات الخيرية المسجلة أو النشاطات التى تهدف بشكل واضح لأغراض خيرية (The Sainsbury Family Charitable Trusts, 2009). ولمجموعة

سينسبوري الخيرية مجموعة مؤسسات وقفية أخرى، مثل: مؤسسة "ألان وبييت" The Alan and Babette Sainsbury Charitable Fund، مؤسسة "اليزابيث كلارك" سينسبوري الخيرية الوقفية The Elizabeth Clark Charitable Trust، مؤسسة البيت الزجاجي الوقفية -The Glass House Trust، مؤسسة "هيدلي" الوقفية The Headley Trust، ومؤسسة أبنديجو الوقفية The Indigo Trust، وغيرها.

Aseema Charitable Trust

ج. مؤسسة أسيمة للوقف الخيري

كلمة " أسيمة " Aseema هي كلمة سنسكريتية تعني "اللامحدودية" Limitless، وهي مؤسسة مهتمة بالطفل، ملتزمة بتوفير البيئة الصالحة لأطفال الشوارع والمشردين في الهند واللامحدودية التي تسعى إليها المؤسسة هي استخراج الطاقات الكامنة والقدرات والإمكانات اللامحدودة لدى الطفل. فبالرغم من التقدم التقني الكبير في الهند، لاحظت المؤسسة أن ما يقرب من نصف تعداد أطفال الهند لا يدخلون المدرسة. ومن هنا جاء اهتمامها بتعليم الأطفال. وهي منظمة أهلية مسجلة بموجب قانون الوقف العام في بومباي ومهمتها حماية وتعزيز حقوق الإنسان للأطفال المحرومين والنساء. وقد أنشئت المؤسسة في عام ١٩٩٥م وتقع في "باندرا" Bandera ببومباي Bombay .

وتتطلق المؤسسة في مهمتها على أساس "اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل" لعام ١٩٩٨م United Nations Convention on the Rights of the Child ، الذي يعترف بحق كل طفل في التعليم . ومن هنا كان اعتقاد المؤسسة بأن التعليم حق كل طفل . وبالرغم من التزام الحكومة الهندية بجعل التعليم الإبتدائي مجانياً وإلزامياً لجميع الأطفال، إلا أنه إلتزام لم يتم الوفاء به حتى بين الأطفال عند بداية دخول المدرسة، فضلاً عن تسرب نسب كبيرة منهم، لذا كان سعى المؤسسة في هذا الحقل. حيث تركز المؤسسة على توفير تعليم جيد وذو معنى للأطفال المحرومين وغرس الرغبة فيهم للتعلم واستكمال دراساتهم في المؤسسات التعليمية (Aseema Website, 2009).

د. المركز الدولي للأبحاث والدراسات (مداد)

هو مركز دراسات مقره المملكة العربية السعودية يسعى لتطوير العمل الخيري ، من خلال إبراز دوره لدى صانعي القرار فيه ودعمهم بالمعلومة الموثقة والدراسات الإستراتيجية. ويهدف المركز لدراسة واقع واستشراف مستقبل العمل الخيري وتأسيس مفاهيم العمل الخيري والتوعية بدور القطاع الخيري كقطاع ثالث شريكاً في التنمية ووضع رؤية مشتركة وترجمتها إلى خارطة الأعمال الخيرية وتحديد أولويات العمل فيها.

ومن خلال عدة دراسات توصل المركز إلى تحديد خمس برامج بحثية، من شأنها أن تساعد على الارتقاء بالعمل الخيري، وأن تعالج النقص البحثي والمعلوماتي الذي يعاني منه

القطاع الخيري حالياً. وهي برامج: مستقبل العمل الخيري، إسهام العمل الخيري في التنمية، أفضل الممارسات العالمية في العمل الخيري، الكفاءة الإدارية والمالية لمؤسسات العمل الخيري، وقاعدة معلومات العمل الخيري الخليجي (المركز الدولي للأبحاث والدراسات، ٢٠٠٩).

هـ. الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

تعد الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومقرها دولة الكويت من أبرز المؤسسات الخيرية التي تسعى لتقديم العون والمساعدة للمحتاجين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وتعمل داخل الهيئة مجموعة من اللجان التي توفر الرعاية الكاملة للأيتام في شتى أنحاء العالم، حيث كفلت ما يربو على ٣٠٧٥ يتيمًا. ومن هذه اللجان لجنة فلسطين التي تأسست في عام ١٩٨٨م وقامت بدعم أعمال لجان الزكاة ومشاريعها، وكفلت ٦٢٧ يتيمًا وفرت لهم ما قيمته ٦١٣٨٥ دينارًا كويتيًّا. أما عدد الايتام الذين تكفلهم الهيئات والمكاتب والجمعيات الكويتية فيصل إلى ٣٤٧٣٧ يتيمًا داخل الكويت وخارجها.

وقد أنجزت الهيئة خلال عشر سنوات أكثر من ٢٤٠٣ مشروعًا خيرياً في أكثر من ٦٠ دولة في مختلف أنحاء العالم توزعت بين بناء المساجد، وحفر الآبار، وإقامة المدارس والمعاهد والكليات، وبناء المستوصفات والعيادات والمستشفيات، وتأسيس المراكز الإسلامية، وبناء دور الليتامى، ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم. وتعد لجنة الشروق وهي إحدى اللجان العاملة داخل الهيئة من أهم اللجان التي تعني بتنمية الشباب روحياً وفكرياً واجتماعياً وجسدياً (عبد الله النعيم، ٢٠٠٠: ٨-٩).

و. جمعية رسالة

بدأت جمعية رسالة عام ١٩٩٩م كحركة طلابية في كلية الهندسة جامعة القاهرة، وذلك رغبة من الطلاب في محاولة تطوير مجتمعهم والتوجه نحوه بإيجابية. وكانت الأنشطة تتراوح بين التبرع بالدم وخدمات لطلاب الكلية وزيارات دور الأيتام والمسنين والمستشفيات. وفي عام ٢٠٠٠م كانت النقطة الأولى لرسالة عندما تبرع شخص بقطعة أرض واستطاع الشباب المتطوع توفير التمويل اللازم بمجهوداتهم الشخصية وتم إشهار الجمعية وإنشاء أول فروعها (فرع رسالة حي فيصل بالقاهرة). وفي عام ٢٠٠٩م، صارت جمعية رسالة من أكبر الجمعيات الخيرية في مصر، ولها خمسون فرعاً مشهراً بجميع أنحاء الجمهورية يمارس من خلال هذه الأفرع ما لا يقل عن ستة عشر نشاطاً خيرياً يعمل به آلاف المتطوعين من جميع الأعمار (موقع جمعية رسالة، ٢٠٠٩).

تعليق

من خلال النظرة الناقدة لطبيعة التطوع ودوافعه في الدول والمؤسسات التي عرضنا لها كشواهد على نظرة العالم لعملية التطوع، فضلاً عما جاء في الدراسات والأدبيات السابقة، نلاحظ بعض الملامح الرئيسة السائدة، نوردتها فيما يلي.

يتسم القطاع التطوعي في النموذج الغربي بوجود قاعدة واضحة وشاملة من القوانين واللوائح المنظمة ونظام اقتصادي يدعم عمل المنظمات التطوعية. وبالرغم من اختلاف الطرائق المنهجية المستخدمة على مستوى النظم الوطنية لكل دولة، فإن الطابع العام يجعل من ظروف الإنتاج مواتية إلى حد كبير للسياسة الاجتماعية. لكن من ناحية أخرى يساعد النظام الرأسمالي السائد في الدول الغربية على تدخل النواحي الذاتية للأفراد في ممارستهم للعمل التطوعي. مثال على ذلك؛ ما يسمى بالمنح المشروطة والمقيدة والتي يقوم من خلالها المتبرع بوضع شروط وقيود على المتلقي (فرداً كان أم مؤسسة) في وجهه وشكل إنفاق التبرع، وبالتالي يصبح هو المحدد لمسار التطوع والتبرع رغبة المانحين وليس الاحتياجات الفعلية للمجتمع. أضف إلى ذلك جذب المزيد من الموارد المجتمعية لإعادة الإنتاج الاجتماعي، وذلك من خلال آليات مثل الخصم من الضرائب المستحقة. بالإضافة إلى إتاحة الفرصة لتنفيذ البرامج الاجتماعية المبتكرة، أي البرامج التي لا تلقى الدعم والاعتراف اللازم. والتوجه لبعض الفئات التي قد تلقى تهميشاً أو لا تلقى الاهتمام أو الرعاية الكافية من الدولة.

أما بالنسبة للدول السوفيتية في حقبة الاتحاد السوفييتي، فأكثر ما يثير الاهتمام أن التطوع كان يفقد ركنه الرئيس، وهو أن يقوم على الإرادة الحرة للفرد. بل ساد ما يمكن وصفه بالتطوع القهري. وهو شكل غريب من التطوع أقرب ما يكون إلى السخرة منه إلى التطوع، انتشر في أوكرانيا وأرمينيا وأذربيجان ودول الاتحاد السوفييتي كلها في تلك الفترة.

ومع انهيار الإتحاد السوفيتي، بدأ المجتمع المدني في الظهور، حيث جاء كرد فعل لما كان عليه الحال في الحقبة السوفيتية، لذا نجده في أوضح صورته تعبيراً عن أن حياة الشعوب ليس المقصد منها خدمة الدولة، بل بالأحرى أن الدول تتواجد لخدمة شعوبها.

من هذا المنطلق، تتبنى روسيا الآن الفكر الغربي ثقافياً وتطبيقاً فيما يتعلق بممارسة التطوع وآلياته المتمثلة في منظمات المجتمع المدني. وبدأ المجتمع الروسي يسير بشكل منظم في مسار "التغريب" Westernization، بما في ذلك إنشاء النظم الديمقراطية والرأسمالية من خلال محاكاة كاملة للنموذج الغربي بما له وما عليه.

وفي الصين يختلف التطوع إلى حد كبير عما هو عليه في الغرب، حيث ينتظر من الجميع في الصين أن يقدموا خدماتهم لصالح مجتمعهم ومن لا يفعل ذلك يكون شاذاً في المجتمع وقد يلقي توبيخاً على ذلك. فالثقافة الصينية تحث على الطاعة وأن واجب الفرد أن يقوم بما يراه التزاماً عليه من واقع إحساسه بالمسؤولية.

أما بالنسبة للمجتمع الهندي، فالملاحظ أن التطوع لا يأخذ الطابع المؤسسي الواضح الذي نجده في الدول الغربية، فهو في أغلبه يقوم على أساس مبادرات فردية وأسرية، وحتى المنظمات ليست بالشكل الموسع المنفرج، بل إنها في أغلبها تعمل على مستوى محدود. ومن اللافت للذكر في المجتمع الهندي أن نسبة كبيرة من التبرعات والخدمات التطوعية تأتي من الأسر (خاصة الفقيرة منها). والتطوع في الهند شأنه شأن أي مجتمع نامي، يهدف في الأساس لإحداث التغيير الاجتماعي بغية تحقيق التنمية والقضاء على الفقر وعدم المساواة في ظل عجز الدولة عن القيام بأعبائها لذلك فليس من المستغرب أن يتم اعتبار أي منظمة غير متربحة في الهند منظمة تطوعية إلا إذا كانت تهدف لإحداث تنمية.

وإذا كانت النزعة الفردية والسعي لإشباع الذات هي الغالبة على النموذج الثقافي الغربي، فإن المجتمعات العربية والإسلامية يغلب عليها الطابع الجماعي الذي يضع الجماعة وليس الفرد في قلب الممارسات التطوعية، ويجعل كل الأعمال التطوعية موجهة نحو صالح الجماعة وليس الفرد (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). لكن ما ينقص تلك المجتمعات في جلها هو تنظيم الممارسة ووضع إطار عام يسمح بتوجيه الأعمال التطوعية في الموضع الصحيح.

كما أن توفر عدد كبير من المنظمات ذات التاريخ الطويل والتقاليد الصارمة في العمل التطوعي والصلاحيات الواسعة والصيت الذائع لدى الناس في الغرب، يعزز مشروعية مجال العمل الاجتماعي ككل لديهم. وذلك بخلاف ما قد نراه من حالات تشكك وعدم ثقة وعدم رغبة في الاشتراك في المنظمات التطوعية والأهلية في بلادنا العربية لعدم توفر الثقافة المجتمعية الدافعة في هذا الاتجاه.

فالمجتمعات العربية والإسلامية في مجموعها لا ينقصها مال أو موارد، ولا تفتقد لدافع، حيث يكفيها الإسلام دافعا وموجها. لكن ما ينقصها هو تنظيم ممارسات التطوع وانتشار ثقافته. الأمر الذي سوف يدفع كل المساعي والجهود وهي كثيرا ما تبذل، لا لتخفيض ضرائب ولا لشهرة ووجاهة اجتماعية ولا حتى لاكتساب خبرات ومهارات، وإنما هي جهود خالصة في مسعاها لا تبتغى إلا رضا الله في الوجهة الصحيحة.

خامسا: نتائج الدراسة الميدانية

من واقع معاشتي للعمل التطوعي في الجمعية الشرعية بقريتنا، بدأ اهتمامي بالكتابة حول قضية العمل التطوعي بصفة عامة. فبدأت بإعداد بعض المقالات والبحوث عن ثقافة العمل الخيري والتطوعي. ثم تبلورت في ذهني فكرة هذا البحث، فأجريت بعض المقابلات مع مسئولين

عن العمل التطوعي في الجمعية، ومع القائمين على مشروعات الجمعية، فضلا عن العديد من المقابلات التي تمت مع كثير من المتبرعين والمستفيدين من نشاطات الجمعية، وكذلك بعض أهالي القرية. وانطلاقا من الطبيعة الاثنوجرافية الثقافية التي تقوم عليها هذه الدراسة الإثنولوجية، تيسر لي انخراطي في العديد من نشاطات وفعاليات الجمعية في السنوات الماضية، وتدوين الملاحظات التي كانت تتبدى لي، وأخذ الصور الفوتوغرافية والتصوير بالفيديو للعديد من الفعاليات، وهو ما ساعدني كثيرا عندما بدأت في مرحلة كتابة البحث. وقد أجابت نتائج الدراسة الميدانية علي أسئلة الدراسة كما سيتضح فيما يلي:

للإجابة علي السؤال الأول: "ما العوامل المؤثرة علي رؤي القائمين ببرامج وأنشطة التطوع والمستفيدين منها في مجتمع الدراسة؟"، سنعرض لبعض المقابلات التي تمت مع متطوعين ومتبرعين ومستفيدين من برامج وأنشطة ومشروعات الجمعية.

مقابلة مع متطوع

في مقابلة مع أحد الأفراد الذين تمت على أيديهم الإرهاصات الأولى لممارسة العمل التطوعي على مستوى القرية وأفنوا حياتهم في هذا العمل، تحدثنا عن بداية مشواره في التطوع. فقال:

"لقد بدأت عملية الاحتساب هذه (وهو يستخدم هذه الكلمة كثيرا في كلامه مشيرا إلى أن عمله التطوعي هو عمل يحتسبه عند الله) بصورة جماعية منذ عشرون عاما. أما قبل ذلك، فكانت في شكل فردي بدأت عندما كنت موجودا في عملي الحكومي، وتقدم أحد الأشخاص إلى وقصدي في أن أساعد شخصا ما يمر بضائقة. وقد وجدت بعد قيامي بهذه المساعدة سعادة داخلية كبيرة، فحدثت شخصا من محبي عمل الخير عن ذلك، فدلني على القنوات الشرعية والقانونية التي يمكنني إتباعها لممارسة هذا العمل الخيري التطوعي. وأشار إلى أن العمل التطوعي الفردي والعشوائي لا يكتب له الاستمرار والنجاح، لأن البيئة لا تساعد؛ بل تهدمه من جراء كلام الناس والشكاوى والانتهاكات،... الخ. وهذه كانت البداية، إلى أن تم إشهار الجمعية كفرع مستقل يتبعه الآن - بتوفيق الله سبحانه وتعالى - ٩٠ لجنة".

يوضح ذلك الإرهاصات الأولى لنشاطات التطوع في القرية - التي أخذها أنموذجا - حيث قامت أغلب البرامج والنشاطات في شكل مبادرات فردية لا تقوم علي أي أساس علمي أو

منهجي. وهي بالرغم من أهميتها وما أنجزته؛ إلا أنها قد تبين سبب العديد من المعوقات والعقبات التي تقف في وجه هذه التجربة.

"ولكن كلامك هذا يوحي بأن الأمور تسير بسلاسة". فضحك قائلاً: "هل تتخيل صرح كبير مثل هذا (يخدم ٣١٢٦ أسرة يتيمة - وهي الأساس - بخلاف الأسر الفقيرة وزواج الفتيات اليتيمات وطالب العلم الفقير ومحو الأمية والحضانة وكتاتيب لتحفيظ القرآن والمشغل والمخبز ولقاءات التوعية والمشروعات التنموية على تنوعها والعلاج والكشف المجاني وسيارة تكريم الإنسان ... الخ) بدون مشكلات ومعوقات. لا طبعاً، المشكلات كثيرة جداً جداً، لكنها لا توقفنا، فالمشكلات الفعلية، نقف ونبحث لها عن حل، حتى يوفقنا الله في حلها، أما المشكلات التي من قبيل كلام الناس والاتهامات وما إلى ذلك، فلا نلتفت إليها. لأنني مؤمن أنني وكل من يسير في طريق العمل الخيري التطوعي من أصحاب الرسالات. وأنت تعلم أن لكل صاحب رسالة أعداء. فإن التفتنا إليهم، فلن نستطيع أن ننهض بالعمل، وسوف يضيع الوقت في مهاترات مثل مصالحة هذا والرد على شكوى ذلك، مما ينعكس سلباً على العمل التطوعي ومصالح هؤلاء البسطاء والفقراء والأيتام. ثم ذكر الآية الكريمة {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان: ٣١]."

ثم تحدث عن نشاطه اليومي كمتطوع، فقال:

"لقد كرمني الله بتوجيهي للسعي في قضاء حوائج الناس. وأجد كل الطاقة في هذا العمل. أما بالنسبة ليومي، فإنه يبدأ مبكراً مع صلاة الفجر ثم أراجع ما تيسر من القرآن وأتناول طعام الإفطار مع أسرتي وهذا هو الوقت الوحيد الذي ألتقي بهم تقريباً، والزوجة والأولاد متفهمين لرسالتني وربنا يبارك فيهم، ثم أذهب لعملي الذي أتقاضي منه راتب يكفيني وأسرتي وأعود من عملي في الثالثة عصراً، وأظل أعمل في الجمعية ربما لمنتصف الليل. أما الأجر، فأنتظره من الله سبحانه وتعالى لأنه هو الغنى، أما الناس ففقراء مهما بلغ ما عندهم من مال".

يشير ذلك إلي فارق ضخم بين الدافع من التطوع في دول الغرب - والتي عرضنا لبعض النماذج منها - وبين مجتمعاتنا الإسلامية. ففي الأولي يكون الدافع الرئيس من وراء قيام الفرد بالتطوع اكتساب خبرات ومهارات تساعد في إيجاد عمل، أو الخصم من الضرائب أو يتطوع الفرد لتجديد حياته وإعطائها معنى كما في النموذج الأمريكي. أو تعبيراً هاماً عن المواطنة وعنصراً أساسياً في الديمقراطية كما في النموذج الكندي، أو لأن هناك التزام "سياسي" مبدئي

للفرد تجاه مفهوم العمل التطوعي كما في النموذج الانجليزي، أو حتي انطلاقاً من واقع شعور بالضمير والمسئولية ومن لا يفعل ذلك يكون شاذاً في المجتمع وقد يلقي توبيخاً على ذلك، كما في الصين، أو لغير ذلك من الأسباب والدوافع (وقد تم عرضها بشكل أكثر تفصيلاً في معرض الحديث عن النماذج العالمية للتطوع). أما في حالتنا فتجسد دافع هذا المتطوع في قوله "أما الأجر، فأنتظره من الله سبحانه وتعالى لأنه هو الغنى، أما الناس فقراء مهما بلغ ما عندهم من مال"، وهي ميزة نسبية هامة لمجتمعاتنا الإسلامية أرى من الضرورة التركيز عليها.

فعلى العكس من الاشتراكية ونظرياتها التي ترفض ملكية الفرد وتحيل كل ملكية للمجتمع، والتي باءت بفشل بعد فشل في تحقيق التكافل والتكافؤ الاجتماعي. وعلى النقيض من الرأسمالية ومنطلقاتها الليبرالية التي تدعو للقضاء على كل ما هو اجتماعي، وتعلي من قيمة الفرد ومن نزعاته ورغباته، فإن الإسلام يوازن بين ملكية الفرد وحق المجتمع. فقد أعطى الحق للإنسان ليعمل ويمتلك أنى شاء، شريطة أن يكون من حلال وأن يؤدي حق الله في ماله وفي صحته، وفي الوقت ذاته لم يغفل البعد الاجتماعي بل وضع قواعد راسخة لدعم السلام الاجتماعي الذي هو نتاج مباشر لشيوع روح التكافل في المجتمع المسلم.

ثم تطرقنا لكيفية اختيار المتطوعين، فقال:

"فضل الله عز وجل. فأثناء صلاتي في أحد المساجد (عندما يجده الناس في أي مسجد يقدموه للصلاة بهم) وبعد الانتهاء من الصلاة، أدير وجهي للمصلين وأنا أختتم الصلاة، أنظر إلى المصلين، فإذا وقعت عيني على أحد أتوسم فيه الخير، أصلى صلاة الاستخارة فيه. وعندما يستقر عقلي وقلبي عليه، أصلى صلاة الحاجة، ثم أدعوه للعمل معنا. فإن وافق من حيث المبدأ وكانت ظروفه مواتية للعمل التطوعي (من حيث وقته وعدم تأثير ذلك على أسرته، والقدرة على العمل، ... الخ) فأبدأ بتعريفه بالزملاء وبالذم الذي يناسبه في الجمعية. وفي أثناء تجولي في الأماكن العامة (الأندية - المدارس - المناسبات العامة الأفراح ...) ومن خلال ترشيحات الزملاء قد نختار أيضا بعض المتطوعين، وهكذا".

يؤكد هذا جانب شديد الأهمية يتعلق بكيفية اختيار المتطوعين - مع الأخذ في الاعتبار أن هذا المتطوع هو المدير الفعلي للجمعية والذي يقع عليه مسئولية اختيار المتطوعين). فعملية الاختيار لا تتم على أساس علمي أو انتخاب طبيعي يتم وفقاً لمؤهلات الشخص. فلا يتم مثلاً الإعلان عن حاجة الجمعية لمتطوعين تتوفر فيهم شروط ومؤهلات معينة. ويؤدي ذلك بطبيعة

الحال إلي ضياع الفرصة لاستقطاب المتطوعين من عدد كبير من الأفراد الذين قد يكونوا ملائمين ولديهم الرغبة للتطوع لمجرد أن أحدا من المعنيين بأمر الجمعية لم يلتقي بهم.

فسألته: "ولكن علي أساس هذا الاختيار، ألا يوجد من ينضم إليكم ثم يترككم؟" فقال: "بالعكس، في ناس مكملوش معانا، ليس لأن الاختيار كان خطأ، ولكن لأن ظروف عمله أو وقته ... الخ قد تبدلت. ولعلمك، كل من يدخل في العمل التطوعي ويتذوق طعم الطاعة ولذة الخير لا يستطيع أن يفارقه، لأن المتطوع يستمتع وهو في خدمة اليتامى والمحتاجين والفقراء، فإن حبسه عذر عن القيام بهذا العمل، فإنه يشعر بالضيق الشديد".

مرة أخرى يدل الحديث علي عدم اتباع الأسلوب العلمي في استقطاب المتطوعين وضمان استمراريتهم. حيث تشيع العديد من المفاهيم الخاطئة والتي لا يسعى أحد لتصحيحها؛ كأن يظن الفرد المتطوع أنه يجب عليه القيام بكل شئ أو لا شئ، أو عدم تقدير المتطوع لأهمية العمل التطوعي وأهدافه، أو عدم إجادة الدور المطلوب منه... الخ. وكلها من المعوقات التي تحتاج إلي إدارة واعية تتبني مهمة نشر ثقافة التطوع بالشكل الذي يضمن استقطاب المزيد من المتطوعين واستمراريتهم.

وبالرغم من ذلك، فإن طموحات العاملين علي هذه الجمعية لا تحدها حدود، ولا يقف في وجهها معوق، وكل ما تحتاجه هي بعض الأمور التنظيمية التي تساعد علي تحقيق الكثير من تلك الأهداف. يؤكد ذلك حديثه عن طموحاته للمستقبل، حيث قال:

"نحن الآن نعد كوادر كثيرة ومتفاوتة الأعمار، لأن هناك توسع في الأنشطة بمجهود أهل الخير من أبناء القرية وغيرها. ونحن نهدف في هذه المرحلة إلي العمل على بناء مقر جديد للجمعية على مساحة كبيرة على الطريق العمومي، ونبحث عن متبرع بقطعة أرض كي يتسنى لنا ذلك، وأملنا في الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا. كما نأمل في إنشاء مركز طبي كبير فيه مختلف التخصصات بمدينة كوم حمادة ليقدم الرعاية والعلاج لغير القادرين من أبناء الفرع من الأيتام والفقراء والمساكين ويكون قريب منهم، وإنشاء مركز للحرف اليدوية (سباكة - كهرياء - نجارة - دهانات - تركيب سيراميك وبلاط، ... الخ) لتعليم الطلبة الأيتام والفقراء حرفة يدوية يتكسب منها ويساعد أسرته وللمساهمة في حل مشكلة البطالة وإيجاد فرص عمل. فضلا عن توسيع دائرة المستفيدين من المشروعات التنموية مثل مشروع رؤوس الماعز لتصل عدد الأسر

المستهدفة الى ١٦٠٠ أسرة فقيرة كذلك التوسع فى إنشاء المخابز لتوفير الخبز المجانى لغير القادرين من الأيتام والفقراء بالفرع".

مقابلة مع متبرع

تقوم المشروعات الخيرية التي ترعاها الجمعية على جهود ومال المتبرعين من أهل الخير. وها هي حالة لأحد المتبرعين للجمعية تقول:

"سمعت إنك من المتبرعين لجمعية كفالة اليتيم". قال: "دا كلام صحيح. لأن الجمعية بترعى الأيتام والفقراء والمساكين فى البلد. فأنا اعطى زكاة مالى للجمعية من ٣ سنين. وقبل كده كنت بطلع زكاة مالى وصدقاتي لناس غلابة حوليا بشكل عشوائى. فلما عرفت عن الجمعية من رجل خير كان بينى وبينه معاملات تجارية، وسألنى بتودى زكاة مالك فىين، قلت له بطلعها لناس غلابة حوليا وللعمال اللى بيشتغلوا عندى، قالى ايه رأيك تتطلع زكاة مالك لجمعية كفالة اليتيم، دى جمعية بترعى الأيتام والفقراء والعجزة والأرامل وطلاب العلم الفقراء وبتجوز الأيتام، قلت له هو فيه أحسن من كده. فزرت الجمعية مرات عديدة أثناء اجتماعات للتجار والمقتردين عشان يساهموا فى زواج الفتيات الأيتام. وحضرت الاجتماع، وعرضوا علينا أمر ١٥ فتاة فى حاجة لجهاز، والحمد لله، معظم التجار اللى بيشتغلوا فى الأجهزة الكهربائية والمنزلية ساهم كل واحد والحمد لله غطينا معظم إحتياجات الفتيات من الأدوات المنزلية والكهربية. وبعد نهاية الاجتماع كلمونا القائمين على الجمعية عن مشروعات الخير فى الجمعية وخصوصاً كفالة اليتيم. وتناقشنا حول حال أسر الأيتام اللى بترعاها الجمعية، وإن الفلوس إللى بتخدها أم الأيتام ضعيفة ومبتكفيش طول الشهر. فرينا كرمنى وبعض التجار، كل واحد منا كفل أسرتين بمبلغ كويس، هو فيه أحسن من كفالة اليتيم ورينا يكرمنى وأقدر أكفل أسرة ثالثة، والله دا رينا وسعها عليا كثير لما كفلت الأسرتين. فقد رأيت فى الجمعية ناس بيشتغلوا متطوعين لله وعاوزين حسنات من رينا وبيشتغلوا ليل ونهار عشان يكفوا حاجات الأيتام والفقراء والمساكين. رينا يكون فى عونهم ورينا يجعل الخير فى طريقهم ذى البحر".

يشير هذا إلي التحول الهام الذي أحدثته الجمعية في عملية إخراج زكاة المال. فبعد أن كان كل فرد يخرج زكاة ماله بشكل عشوائى دون تقصي الوجه الأمثل لصرفها فيه، ساعدته الجمعية علي توجيه زكاة ماله وما يود التصدق به لوجه الله في الوجهة الصحيحة؛ لمعرفة أفراد الجمعية بمستحقي الزكاة والصدقات. كما أن الجمعية شجعت هذا المتبرع وغيره علي إنفاق

المزيد في أوجه الخير في المصارف التي دلوه عليها (مثل تعريفه بأسر فقيرة يقدم لها معونة شهرية). في الوقت ذاته كان للجمعية أثر هام في تنظيم عملية إخراج المال من زكاة وصدقة، فباتت هذه الأموال تذهب لمن يحتاجها بدلا من أن يقوم أكثر من شخص بتوجيه أموالهم في باب واحد مع إهمال مصارف أخرى قد تحتاج لهذه الأموال لكنهم لا يدرون بها.

مقابلات مع مستفيدين من الجمعية

تم إجراء مقابلات مع عدد من المستفيدين من الجمعية، لمعرفة دور الجمعية في تخفيف بعض العبء وتقديم يد العون لهم واستطلاع العوامل المؤثرة علي رؤاهم لبرامج وأنشطة ومشروعات التطوع في القرية. وفيمل يلي نعرض لنماذج من تلك المقابلات.

مقابلة مع أم أيتام

تقول هذه الأم:

"إن زوجي توفي من سنتين وكان بيشتغل في الخرسانة يوم بيوم على باب الكريم. وعندى أربعة أولاد؛ ثلاثة في المدارس وواحد لسه مدخلش المدرسة. فلما مات جوزي، لقيت الجماعة بتوع كفالة اليتيم بعدها بيومين جاين البيت ومعاهم شنطة مليانة بكل المواد الغذائية وإدوني مبلغ كويس وقالوا لي متعيش هم حاجة وإن شاء الله الجمعية حتتكفل بأولادك. وجاءت بعد أسبوع مشرفة من الجمعية تشوف أحوالنا، وتكلمت معي كلام طيب كما لو كانت أختي. وقالت عايزين شوية ورق منك عشان يعملولى ملف في الجمعية وكمان يعملولى معاش أرملة من الحكومة. وعملولى ملف انا وأولادى، وعملوا لي معاش أرملة من الحكومة. أما الجمعية فتعطيني ١٨٠ جنيه؛ ٨٠ من الجمعية الشرعية الكبيرة في مصر و١٠٠ من واحد من أهل الخير. كمان الجمعية مديانى بطاقة علاج أكشف بيها أنا وولادى بالمجان وأخد كمان الدوا بالمجان. وبعدين رحى الجمعية وإشتكيت لهم إن الحاجات اللي بنخدوها والفلوس والمعاش مبيكفوش والله يسترهم بتوع الجمعية دوروا على كافل ثانى لأولادى والكلام ده من سنه وزودونى ١٠٠ جنيه كمان والحمد لله مستورة بأخد منهم ٢٨٠ جنيه في الشهر والمعاش بتاع الحكومة وحاجات الأكل والشرب إالى تكفينى كل شهر والحمد لله عال ربنا يكرمهم أهل الخير وبتوع الجمعية سترونى أنا وعيالى. والناس بتوع الجمعية كويسين قوى وربنا يكرمهم سيبين بيوتهم وعيالهم عشان يقدموا لنا الخير دول ناس بتوع ربنا وربنا يجزيهم خير".

والملاحظ أن ما جاء علي لسان الحالة يعبر عن شعور المستفيدين بجدية عمل أفراد الجمعية. فهذه السيدة تشعر بالعرفان لأن الجمعية اهتمت منذ الأيام الأولى لموت زوجها بالذهاب إليها ومحاولة مساعدتها، وهو ما حفظ لها كرامتها وأغناها غعن ذل المألة. وهي سمة المجتمع المسلم الذي يقوم علي التكافل والتعاون. في الوقت ذاته يعبر كلامها بالرغم من بساطته علي جدية عمل الجمعية. فالجمعية متابعة لأمرها وقدمت إليها مزيد من الدعم عندما احتاجت له.

مقابلة مع رب أسرة فقير

يقول هذا المستفيد الذي دله أحد الأفراد علي الجمعية ليطلب منها المساعدة: "عندي ٣ بنات وولدين، بنت في الدبلوم وبنت في ٢ إعدادي وولد في سنة سادسة وبنت في رابعة ابتدائي وولد لسة مادخلش المدرسة. وأنا شغال في تركيب النور في الأفراح، يعني أرزقي؛ في فرح يبقى في شغل، مفيش فرح يبقى مفيش شغل. ولما ضاق بي الحال، وبقت ظروف صعبة، وفي أيام بتعدى علينا ما بنلقش لقمة العيش نكلها. فحكيت لشيخ المسجد علي حالي، فقالي شوف أنا عايزك تروح جمعية كفالة اليتيم وتحكيلهم ظروفك وهما هيساعدوك علي طول. فقلت له دي بتساعد الأيتام بس، رد وقالي وكمان بتساعد الفقراء والأرامل والمساكين وكل الغلابة. فذهبت للجمعية وقابلت المسئولين وحكتهم علي ظروفى وقولتلم انا على باب الله يوم شغل وأسبوع مفيش وبعدين قالولى روح وهنبعتك. وبعد يومين بعنولى مشرفة زارتنى فى البيت وقعدت مع مراتى وبعيالى وشافت حالنا على الطبيعة بعد كدة بعنلى المدير وقالى إن شاء الله هتساعدك الجمعية بس عايزين نعملك ملف. وطلبوا منى صورة بطاقة الكمبيوتر وصورة شهادة ميلاد أولادى وصورة بطاقة زوجتى وعملولى بحث اجتماعي. والجمعية الآن بيعطونى مبلغ كويس كل شهر ١٥٠ جنية وبيدونى بطاقة تمويينية بنصرف بيها (رز ومكرونة ودقيق وسكر وسمنة وزيت وفول) كل شهر. كمان الجمعية مديانى بطاقة للعلاج المجانى أكشف بيها انا وولادى فى المستشفيات الخاصة، وباخذ العلاج مجانى، كمان بيساعدو ابنى اللى فى سنة سائة. وقالوا لي أنت على قائمة الإنتظار بالنسبة للمشاريع إن شاء الله هنعملك كشك صغير تببيع فيه أدوات الكهرباء طالما إنت بتفهم فى الأدوات الكهربائية عشان تساعد نفسك وتزود دخلك وتلاقى حاجة تعيش بيها. وأنا بشكر المسئولين فى الجمعية وأهل الخير من كل قلبى وربنا يكرمهم. والله هم ساعدونى في شدتى ووقفوا جنبى ربنا ينجح مقاصدهم يارب ويغفر خطأهم."

توضح هذه الحالة أهمية الدور التنموي الذي تسعى الجمعية للقيام به داخل مجتمع القرية، والذي امتد لفئات أخرى غير الأيتام (مجال اهتمامها الرئيس) وهم الفقراء. حيث تقدم لهم المساعدة المادية والعينية والصحية والتعليم لأولادهم في المدارس. علاوة على ذلك، فهي تشير إلى نظرة مستقبلية بمحاولة إقامة مشروع صغير للفرد في المجال الذي يعمل فيه، كي تيسر له الاعتماد على ذاته. ونستخلص من ذلك أن سياسة الجمعية تسير في اتجاهين متوازيين؛ الأول: هو المساعدة الفورية لتحقيق الأمن لهذه الأسرة. والثاني يتمثل في الرؤية المستقبلية المعتمدة على تحقيق تنمية ذاتية متمثلة في العمل على خلق فرصة عمل للفرد كي يحقق اكتفاء ذاتي دون الحاجة للآخرين. وهذا يؤكد عدة أمور هامة:

أولها: فعالية الجمعية وإدراك أهل القرية للدور الحيوي الذي تقوم به. فعندما ضاق الحال بهذا الرجل وشكى ذلك لإمام المسجد، فلم يبق الإمام بتوجيهه لأحد أثرياء القرية طلبا لمعونتهم؛ بل دله على الذهاب للجمعية (فحكيت لشيخ المسجد على حالي، فقالي شوف أنا عابزك تروح جمعية كفالة اليتيم وتحكيلهم ظروفك وهما هيساعدوك على طول)، وهو ما يدل على اقتناع الإمام بجدية عمل الجمعية وأنها ستمد له يد العون.

ثانيها: أن الجمعية لا تقدم المساعدة ولا تنفق المال دون أن تتيقن من حاجة الفرد لهذا المال (وبعد يومين بعتولى مشرفة زارتنى فى البيت وقعدت مع مراتى وعيالى وشافت حالنا على الطبيعة)، فزيارة المشرفة لبيت هذا الرجل الفقير كان الهدف منها الإلمام الواقعي بمدي حاجة هذا الفرد للمساعدة.

ثالثها: أن دور الجمعية لا يقتصر عند تقديم بعض المساعدة للمحتاجين؛ بل إنها تسعى لتحويل هذا المحتاج لشخص مكتفي بذاته غير محتاج للصدقة (وقالوا لي أنت على قائمة الإنتظار بالنسبة للمشاريع إن شاء الله هنعملك كشك صغير تبيع فيه أدوات الكهرباء طالما إنت بتفهم فى الأدوات الكهربائية عشان تساعد نفسك وتزود دخلك وتلاقى حاجة تعيش بيها).

نخلص مما سبق إلى أن أهم العوامل التي تؤثر على رؤي القائمين على برامج وأنشطة ومشروعات الجمعية والمستفيدين منها تتمثل في:

١. أن الإرهاصات الأولى لنشاطات التطوع في القرية جاءت في شكل مبادرات فردية لا تقوم على أي أساس علمي أو منهجي.
٢. أن الدافع من وراء التطوع في مجتمع البحث هو ابتغاء مرضاة الله وليس لوجاهة أو حب ظهور أو حتي الخصم من الضرائب، وهي ميزة نسبية هامة لمجتمعاتنا الإسلامية أري من الضروري التركيز عليها والعمل على تعميمها.

٣. أن عملية استقطاب المتطوعين وضمان استمراريتهم تتم بشكل عشوائي ودون تخطيط جيد؛ وبالتالي يجب الاهتمام بهذا الجانب وتنظيمه بشكل علمي.
٤. أن هناك التباس وسوء فهم لدي بعض المتطوعين في إدراكهم لطبيعة العمل التطوعي، يحسن تصحيحها وتبيان طبيعة العمل التطوعي.
٥. أن طموحات العاملين في الجمعية لا تحدها حدود، وكل ما تحتاجه هي بعض الأمور التنظيمية التي تساعدهم علي تحقيق الكثير من تلك الأهداف.
٦. هناك تحول إيجابي وهام أحدثته الجمعية في عملية إخراج زكاة المال وزكاة الزروع. فبعد أن كان كل فرد يخرج زكاة ماله بشكل عشوائي دون تقصي الوجه الأمثل لصرفها فيه، صارت الجمعية تساعد علي توجيه زكاة المال والصدقات في الوجهة الصحيحة.
٧. تشجع الجمعية أيضا المتبرعين علي إنفاق المزيد في أوجه الخير وفي المصارف الصحيحة.
٨. تتمتع الجمعية بصدي إيجابي لدي المستفيدين؛ يتضح ذلك في شعورهم بالعرفان والامتنان لها، فضلا عن إدراك أهل القرية للدور الحيوي الذي تقوم به.
٩. أن الجمعية لا تقدم المساعدة ولا تنفق المال دون أن تتيقن من حاجة الفرد لهذا المال.
١٠. أن دور الجمعية دور تنموي، فهي لا تقتصر علي تقديم بعض المساعدة للمحتاجين؛ بل إنها تسعى لتحويل هذا المحتاج لشخص مكثفي بذاته غير محتاج للصدقة.

للإجابة علي السؤال الثاني: "ما مدي تلبية برامج وأنشطة ومشروعات التطوع للاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للمستفيدين منها في مجتمع الدراسة؟"، نعرض هنا للمشروعات والأنشطة الرئيسية التي تتبناها الجمعية، وذلك من خلال عرضنا لبعض النماذج من المقابلات التي تمت مع عدد من المتطوعين المسؤولين عن نشاطات الجمعية توضح البرامج والنشاطات المختلفة التي تتبناها الجمعية.

١. كفالة اليتيم

تعد كفالة اليتيم من أهم مجالات العمل الخيري الذي يحظى باهتمام الجمعية. فعدد الأسر الأيتام التي تستوعبها الجمعية يبلغ ٣١٢٦ أسرة، تضم ٦٤٥٥ طفلا يتيما، يصرف لكل طفل كفالة خارجية (من الجمعية الشرعية الرئيسية) شهرية بواقع ٢٠ جنية وكفالة داخلية (يتبرع بها كفيل من أهل الخير) بواقع ٢٠ جنية شهرياً تتسلمها أم الأيتام شهرياً. علاوة على تقديم دعم عيني لأسرة اليتيم شهرياً متمثلاً في المواد الغذائية (دقيق - سكر - مكرونة - أرز - سمن - زيت - لحم) تتسلمها أم الأيتام شهرياً من مندوب الصرف من خلال بطاقة تموينية، يتم التوقيع فيها من مندوب الصرف بعد صرف المقررات الغذائية لأم الأيتام. وذلك بالإضافة للخدمات الأخرى التي

تقدم مثل بطاقة العلاج المجاني وصرف الأدوية بالمجان وتوفير الملابس المدرسية والأدوات والكتب المدرسية. كذلك تقديم ملابس الأعياد للأطفال الأيتام، ودفع مصروفات فصول التقوية لهم، بالإضافة إلى العطاءات السنوية الثابتة التي تصرف للأيتام مثل بطانية في شهور الشتاء وحبوبية مواد غذائية في شهر رمضان مكونة من (لحم - مكرونة - أرز - دقيق - بلح - سمن - زيت)، وكذلك اللحوم في عيد الأضحى المبارك؛ نصف كجم لكل طفل يتيم فضلا عن رعايتهم رعاية روحية وسلوكية ومتابعتهم في المدارس والجامعات، فضلا عن العديد من الخدمات الأخرى التي سنعرض لها تباعا.

يقول أحد المتطوعين المسؤولين عن مشروع كفالة الطفل اليتيم:

"إن المشروع يهدف إلى توفير كفالة حقيقية للطفل اليتيم كما أوصى القرآن بذلك في قوله تعالى "يستلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير"، وكما أوصانا رسولنا الكريم (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى). ومشروع كفالة اليتيم من أكبر المشروعات الاجتماعية التي تنفذها الجمعية وأعظمها أثرا على الطفل وأسرته وعلى المجتمع كله."

وأشار متطوع آخر إلي أن:

"الفرع ينظم رحلات ترفيهية لعدد من المصايف خلال شهور الصيف للأطفال الأيتام للترويح عنهم. كذلك يقيم الفرع حفلا كبيرا لتكريم المتفوقين من الأطفال الأيتام في كل مراحل التعليم، ويكرم حفظة القرآن الكريم من الأطفال الأيتام، (كذلك يكرم معهم جميع أبناء القرية من المتفوقين)، وتكرم الأم المثالية من أمهات الأيتام في هذا الحفل."

وفي ذلك إشارة هامة إلي أن الجمعية لا تقصر مساعدتها للأيتام علي المساعدات المادية فقط؛ بل تسعى لتقديم بعض الدعم المعنوي لهؤلاء الأيتام والعمل علي دمجهم اجتماعيا من خلال الأنشطة الاجتماعية والترفيهية والحفلات... الخ. ومن الأفكار الجديدة التي تتبناها الجمعية في هذا الصدد أنها تطلب من كل متبرع يرعي أسرة أو أكثر من أسر الأيتام ماديا أن يجمع بين أولاده وأطفال الأسرة اليتيمة في أيام الأجازات، حيث يقضون اليوم معا يلعبون ويتناولون طعامهم معا بهدف إزالة الحاجز النفسي لدي هؤلاء الأطفال وعدم إشعارهم بأنهم أيتام، وبالتالي تتدني احتمالية الإقصاء الاجتماعي لهؤلاء الأطفال.

٢. المشروعات التنموية

تتبنى الجمعية العديد من المشروعات التنموية التي تحاول من خلالها تخفيف الفاقة عن المحتاجين، وفي الوقت ذاته تسعى للمساعدة في إقامة مشروعات صغيرة تكفيهم المسألة.

أ. خلق فرص عمل لأمهات الأيتام

وهو من الأمور الهامة التي تسعى الجمعية لتعميمها، حيث تسعى لأن تعف هؤلاء المحتاجين عن ذل المسألة؛ وذلك من خلال خلق فرص عمل لأمهات الأيتام تغنيهم عن تلقي الصدقات، بل يصبح منتجات ومكتفيات ذاتيا. ولهذا الأمر ميزتان هامتان:

الأولي: أن ذلك يخفف العبء الملقى علي عاتق الجمعية، لأنه مع عمل أمهات الأيتام فلن يصبح بحاجة لتلقي الدعم من الجمعية ولو بعد حين.

والثانية: إزالة الحاجز النفسي الرهيب التي تعاني منه الأسرة اليتيمة عادة من ذل المسألة، وبالتالي ينمو أطفال هذه الأسرة بشكل طبيعي دون أن يشعروا أنهم أقل من أقرانهم من غير الأيتام بأي شكل من الأشكال. يقول أحد المتطوعين تأكيدا لذلك:

"يرعى الفرع أسر الأيتام أيضا من خلال خلق فرص عمل لأمهات الأيتام في مشاغل الفرع لزيادة دخولهم وتحسين أحوال معيشتهم. ويساعد القائمون على هذا المشروع عدد من السيدات المتطوعات اللواتي يقمن بزيارة أسر الأيتام في منازلهم والتعرف على احتياجات هذه الأسر ونقلها إلى المشرفين القائمين علي هذا المشروع لتلبيتها على وجه السرعة. وهؤلاء السيدات المحبات للعمل التطوعي وعمل الخير ابتغاء مرضات الله تعالى، يبذلن قصارى جهودهن في مساعدة أسر الأيتام، وفي رفع الوعي الصحي والبيئي لأمهات الأيتام من خلال التحدث معهن عن المشاكل المعاصرة مثل مشكلة أنفلونزا الطيور التي تحدث بسبب تربية الطيور (وهي عادة منتشرة في كثير من بيوت القرية) في مكان مفتوح، مما يعرض الطيور للإصابة بأنفلونزا الطيور، وتوعية أمهات الأيتام بحملات التطعيم ضد شلل الأطفال وفيروسات الكبد والتغذية المتوازنة ومساعدة أمهات الأيتام في حل المشكلات الدراسية للأطفال الأيتام. وتبلغ كلفة رعاية الأطفال الأيتام ٣٨٧٥٠٠ جنيها سنويا."

ب. مشروع تفصيل وتشطيب الملابس

وفي السياق ذاته، تتبنى الجمعية كذلك العديد من المشروعات التنموية التي تهدف لتشغيل أمهات الأيتام مثل تفصيل وتشطيب الملابس. يقول ، قال أحد المتطوعين المسؤولين عن المشروع:

"إن الهدف من هذا المشروع هو زيادة دخل أمهات الأيتام وتحسين أحوالهم المعيشية. علاوة على توفير منتج عالي الجودة بسعر رخيص للجمهور. فقد أنشأ فرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان مركزا لتفصيل وتشطيب الجلباب الحريمي الصيفي والشتوي. ويعمل بهذا المشغل عدد ٦٠ من أمهات الأيتام، بمتوسط أجر شهري ٣٠٠ جنية. كما يعمل بالمشغل عدد ٥ فتيات يتيمات في أعمال القص والسرفله والكي. وتحصل الفتاه على مبلغ ٢٠٠ جنيها شهريا. ويقوم المشغل بإنتاج ٢٥٠٠ جلبابا شهريا، بجملة ٣٠ ألف جلبابا سنويا، تباع بسعر التكلفة الفعلية للجمهور متضمنة أجر أم الأيتام دون هامش ربح للجمعية، حيث أن الربح الحقيقي للمشروع هو زيادة دخول أمهات الأيتام، وتحسين أحوالهم المعيشية، وتقديم منتج جيد عال الجودة بسعر رخيص لجمهور المستهلكين. كما يدعم الفرع أمهات الأيتام العاملين بالمشغل، من خلال منحهم بطاقة تموينية للحصول على احتياجاتهم الضرورية من المواد الغذائية الشهرية."

ج. المشروعات الصغيرة لشباب الخريجين من الأيتام

هناك الكثير من المشروعات الصغيرة لشباب الخريجين من الأيتام يتبناها الفرع، وهي مشروعات يمولها المتبرعون، بهدف إتاحة فرصة عمل لشباب الخريجين من الأيتام؛ ليتكفوا من مساعدة أمهاتهم في إعالة أسرهم؛ خاصة في ظل تخلي الدولة عن تعيين الخريجين، ووقايتهم من الانحراف نتيجة البطالة وقلة فرص العمل (مهدي القصاص، ٢٠٠٦). ويستفيد من هذا المشروع عدد كبير من الشباب. يقول أحد المتطوعين عن هذا المشروع:

"من المشروعات الصغيرة التي تمنح لهؤلاء الشباب؛ منافذ توزيع الملابس وبيع المواد الغذائية والسنترالات والتروسكلات لتوزيع أنابيب الغاز ورغيف الخبز. وبيدال القائون على هذا المشروع جهودا كبيرة ابتغاء مرضاة الله من أجل إتاحة فرصة عمل لكل الشباب الخريجين من الأيتام، من خلال تعريف رجال الأعمال بفروض الكفاية، وبضرورة مساعدة هؤلاء الشباب وتوفير فرص عمل لهم لحمايتهم من الانحراف الذي ينجم عن إهمال المجتمع لهم."

د. دعم الأسر الفقيرة ومحدودة الدخل

من الجدير بالذكر أن سعي الجمعية للمساعدة في إنشاء مشروعات صغيرة لا يقتصر على الأيتام؛ بل إنها تحاول عمل مشروعات صغيرة للأسر محدودة الدخل - كما سبقت الإشارة - وإن كان ذلك بمعدل أقل. وفي هذا ترسيخ لمبدأ تسعى الجمعية لتحقيقه وهو تحويل الشخص المحتاج المستحق للصدقة إلى شخص مكثفي بذاته معنيا من ذل المسألة، وهذا من أهم القيم التي تتبناها الجمعية ويجب تعميمها. يقول أحد المتطوعين المسؤولين عن مشروع دعم الأسر الفقيرة ومحدودة الدخل بالجمعية:

"إن لهذا المشروع دور رائد ومتميز في دعم الأسر الفقيرة ومحدودة الدخل، من أجل تحسين مستوى معيشتهم وتوفير حياة كريمة لهم ومساعدتهم على مواجهة أعباء الحياة. حيث يتم ذلك من خلال تقديم المساعدات المادية والعينية لعدد ١١٢٥ أسرة فقيرة بمختلف اللجان التابعة للفرع. حيث تحصل الأسرة الفقيرة على مبلغ ٥٠ جنيها شهريا تصرفه الأسرة من مندوب الصرف شهريا، كذلك تحصل الأسرة الفقيرة على دعم عيني شهري متمثل في المواد الغذائية الضرورية (لحم - سكر - أرز - مكرونه - دقيق - سمن - زيت - فول)، يصرف للأسر الفقيرة من خلال بطاقة تموينية. كما تحصل الأسر الفقيرة على بطاقة علاجية مجانية لجميع أفراد الأسرة لتستفيد منها في الكشف المجاني والحصول على الأدوية بالمجان وإجراء العمليات الجراحية. وذلك بالتنسيق مع عدد من الأطباء المتطوعين في كوم حمادة والدلنجات ومركز بدر. كما يستقبل فرع الجمعية سنويا قافلة الخير من الجمعية الشرعية الرئيسية والتي تقوم بتوزيع مبلغ خمسون ألف جنيه على عدد ٥٠٠ أسرة فقيرة من لجان الفرع بواقع ١٠٠ جنيه لكل أسرة."

وأشار متطوع آخر من المسؤولين عن المشروع ذاته إلى أن:

"الفرع يقوم، بالتعاون مع المتبرعين، بتوفير عدد من المشروعات الصغيرة سنويا للأسر الفقيرة؛ مثل مشروع تربية رؤوس الماعز ومنافذ بيع الخضروات والفاكهة ومنافذ بيع المواد الغذائية وتربية الأرانب المحصنة والدجاج البياض واللحم، بهدف تحويل الأسر الفقيرة التي تتلقى المساعدات إلى أسر ذات دخل يغنيها عن السؤال وترفع هذه الأسر من الجمعية في حالة نجاح مشروعها واكتفائها ذاتيا ويتم دخول أسر جديدة بدلا منها."

وعن مشروع رؤوس الماعز، قال متطوع ثالث:

"إن هذا المشروع هدفه مساعدة الأسر الفقيرة ومحدودة الدخل على مواجهة أعباء الحياة، وتحويلها من أسر تتلقى المساعدات إلى أسر منتجة. وذلك بتوفير أربعة من رؤوس الماعز لكل أسره فقيرة، لتكون نواة للمشروع ولتحقيق عائد مادي مجزى لهذه الأسر. ويقوم فرع الجمعية بتوفير الرعاية البيطرية لهذا المشروع من خلال الوحدات البيطرية، وتوفير أطباء متخصصين لرعاية رؤوس الماعز لدى الأسر الفقيرة. كما يقوم فرع الجمعية بشراء إنتاج الماعز بسعر أعلى من سعر السوق من الأسر المستفيدة، لتشجيع الأسر على الاستثمار في هذا المشروع، مع إعادة توزيع هذا الناتج على أسر جديدة بالفرع. وجرى الآن توزيع ٤٠٠ رأس ماعز على عدد ١٠٠ أسرة فقيرة بالفرع من مختلف اللجان. وتبلغ تكلفة الوحدة من رؤوس الماعز (٢٠٠ رأس ماعز+ ١٥ ذكر) ٧٠ ألف جنيه، يتحمل الفرع عشرة آلاف جنيهه وتتحمل الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة مبلغ ستون ألف جنيهه. ويقوم بتمويل هذا المشروع الضخم متبرعين من رجال الأعمال، بهدف توفير حياة كريمة للأسر الفقيرة، ومساعدتها على مواجهة أعباء الحياة."

٣. برامج المساعدة

فضلا عن المشروعات التنموية التي تحاول من خلالها الجمعية تقليص عدد المحتاجين للمساعدة من خلال دعمهم في إقامة مشروعات صغيرة خاصة بهم، تقوم الجمعية كذلك - من خلال المعونات والتبرعات التي يتم تحصيلها ومن خلال التنسيق مع العديد من المتبرعين - بتقديم مساعدات للمحتاجين لها أني تسني لها ذلك.

أ. تيسير زواج الفتيات اليتيمات

في إشارته لمشروع تيسير زواج الفتيات اليتيمات (وهو أحد المشاريع التي تتبناها الجمعية)، قال أحد المتطوعين المسؤولين عنه:

"إن المشروع يهدف إلى مساعدة الفتيات اليتيمات المقدمات على الزواج، من خلال تعريف الفتاة بحقوقها وواجباتها، مع قيام القائمين على المشروع بالتصرف والسؤال عن الخاطب المتقدم للفتاة للتحقق من دينه وخلقه. وكذلك يقدم المشروع للفتاة المقبلة على الزواج جانبا من احتياجاتها الضرورية من الأجهزة المنزلية (بوتاجاز بالأنبوبة - غسالة عادية - أواني طهي ألمونيوم - سجاد - أطقم ملامين وصيني وملاعق -

ملابس وقطن تنجيد - مطبخ). كذلك يقدم المشروع للفتاة المقبلة على الزواج مساعدة مالية قدرها ١٠٠٠ جنيها لمساعدتها في إتمام زواجها. ويتم من خلال هذا المشروع المساهمة في تيسير زواج ١٠٠ فتاة سنوياً بمختلف لجان الفرع بكلفة سنوية قدرها ١٥٠ ألف جنيا سنوياً.

وأضاف متطوع آخر أن:

"مشروع تيسير زواج الفتيات اليتيمات قد بدأ بتلبية بعض الاحتياجات المنزلية الضرورية فقط؛ لضعف تمويل هذا المشروع وكثرة عدد الفتيات اليتيمات المقبلات على الزواج. لكن بفضل من الله وجهود القائمين على المشروع، ومن خلال التنسيق مع عدد من أصحاب محلات الأجهزة الكهربائية والمنزلية في القرية، تطور هذا المشروع إلى أن وصل اليوم أن تتسلم الفتاة معظم الاحتياجات اللازمة لزواجها، علاوة على منحها مبلغ مالي قدره ١٠٠٠ جنية لإتمام زواجها."

وفي هذا المشروع (تيسير زواج الفتيات اليتيمات) لا تقوم الجمعية بتقديم المعونة المادية للفتاة اليتيمة المقبلة علي الزواج فقط، بل إنها تقوم بدور والد هذه الفتاة الذي يهتم لأمرها ويتأكد من أن المتقدم للخطبة شخص مناسب؛ حيث "يتولي القائمون على المشروع بالتصرف والسؤال عن الخاطب المتقدم للفتاة للتحقق من دينه وخلقه". وفي ذلك تأكيد علي الجانب الاجتماعي الهام الذي تحاول الجمعية القيام به فضلا عن المساعدات المادية، وهو من صميم العمل الخيري الاجتماعي.

ب. مشروع العلاج المجاني

يروج هذا المشروع لفكرة شديدة الأهمية وهي التطوع أثناء العمل. فهذا الشكل من التطوع يجعل الفرد يتطوع أثناء ممارسته لعمله، وبالتالي يمكن الاستفادة من الكثيرين الذين لا تسمح لهم ظروفهم الانتقال لأماكن أخرى أو ترك مواقع عملهم حتي يمكنهم التطوع. فمثلا يقول أحد المتطوعين:

"يعتمد دوري بشكل كبير على حسن العرض وقوة الحجة. حيث أذهب للصيديات وأدعوهم للمشاركة في جمعية كفالة اليتيم، للتبرع بالعلاج لعدد من المرضى من الأيتام والفقراء والمساكين من زكاة مالهم. وأشرح له وضع الأيتام، حيث تقوم الجمعية بتقديم الكشف والعلاج لهم بالمجان. وعندما يوافق ويقنتع، يبدأ يسأل عن أسلوب الصرف.

فأسأله بكم تشارك في (السنة - الشهر - الأسبوع) وعندما ألمح استجابته، أبادر بعرض نماذج من صيدليات تتعامل مع الجمعية. فهناك من يخصص مبلغ معين، وهناك من يضيف على زكاة ماله مبالغ كبيرة، إضافة إلى خصم نسبة الريح من سعر الدواء، وهناك بعض الصيدليات تقوم بتصريف العلاج الذي تجمعها الجمعية من الناس."

كما أن هناك اتفاق مع العديد من الأطباء علي استقبال بعض الحالات التي ترسلها لهم الجمعية ليقوموا بالكشف عليها مجاناً. يقول أحد المتطوعين المسؤولين عن هذا النشاط:

"لقد وضع فرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان على عاتقه رعاية الأيتام والفقراء صحياً وتقديم الخدمات الطبية لهم من خلال منح الأطفال الأيتام والفقراء بطاقة علاجية بموجبها تتحمل الجمعية تكاليف الكشف الطبي وعمل الأشعة وإجراء التحاليل الطبية بالمراكز الطبية المتخصصة في مدينة كوم حمادة والدلنجات ومركز بدر ويساهم أصحاب هذه المراكز في تحمل نصف تكاليف العلاج مساهمة منها في مساعدة الفرع في علاج غير القادرين وتبلغ مساهمة فرع الجمعية في هذا المشروع بأكثر من خمسين ألف جنيهاً سنوياً."

وأضاف آخر أن: "الجمعية تستقبل سنوياً قافلة طبية من الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة والتي تضم نخبة من الأساتذة والاستشاريين المتطوعين للكشف على عدد ٨٠٠ حالة مرضية من الأيتام والفقراء وغير القادرين من محدودى الدخل من مختلف اللجان التابعة للفرع. حيث يتم إبلاغ الفرع بموعد القافلة الطبية ويبلغ الفرع اللجان التابعة له لتسجيل الحالات المرضية الغير قادرة للكشف عليها، ويمنح الفرع الأدوية بالمجان لغير القادرين من خلال البطاقة العلاجية. ويساهم أصحاب الصيدليات بنصف تكلفة العلاج. كما يتم تحويل الحالات المرضية المزمنة والمستعصية إلى مراكز الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة؛ مثل مركز الغسيل الكلوي بمسجد الاستقامة بميدان الجيزة، ومركز الأشعة التشخيصية بمسجد المصطفى بمدينة نصر، ومركز تشخيص وعلاج أمراض العيون بالليزر بمسجد الرحمن بالمطرية بالقاهرة وغيرها. ويتم تلقى العلاج في هذه المراكز بالمجان، تبرعاً من أهل الخير الذين أقاموا هذه الصروح الطبية لتوفير العلاج لغير القادرين. ويحول سنوياً أكثر من ٣٠٠ حالة مزمنة من غير القادرين من مرضى الفرع من مختلف اللجان إلى هذه المراكز. ويوفر لهم الفرع سيارة إسعاف مجهزة بالمجان. وقد أقام فرع الجمعية الشرعية

بقرية ببيان مركز طبي بقرية بريم لتقديم كل الرعاية الصحية والطبية لأسر الأيتام والفقراء بالفرع بالمجان، يعمل به نخبة من الأطباء والاستشاريين المتطوعين، ابتغاء مرضاة الله."

ويمكن التوسع في هذه الفكرة (التطوع أثناء العمل) لتشمل كل الأفراد وتجعل منهم متطوعين؛ كأن يقوم المعلم بإعطاء دروس مجانية لأبناء الأيتام في جزء من وقته، وغير ذلك في المهن المختلفة. وقد أشرت لشكل شديد الإيجابية لمثل هذه الفكرة في سياق العرض للتطوع في الولايات المتحدة الأمريكية.

ج. رعاية المعاق المسلم

من ضمن اهتمامات الجمعية رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من فقراء المسلمين. فالفرد المعاق قد يشعر بالإقصاء الاجتماعي وبأنه عنصر غير فاعل في المنظومة الاجتماعية التي تحتويه. وهنا تسعى الجمعية؛ أولاً لتقديم المساعدات المادية التي يحتاجها المعاق، وثانياً - والأكثر أهمية - تسعى الجمعية لدمجه في مجتمعه من خلال توفير فرصة عمل أو إقامة مشروع له يكفيه مادياً ويشبع لديه الشعور بأنه مواطن فاعل ومؤثر في مجتمعه. حيث تؤكد العديد من الدراسات إلى أهمية عملية الدمج الاجتماعي للمعاق. إذ أن الكثير من مشكلات المعاق لا ترجع إلى الإعاقة ذاتها، بل تعود في الأساس إلى الطريقة التي ينظر بها المجتمع إليه (مهدي القصاص، ٢٠٠٤). يشير أحد المتطوعين في حديثه عن مشروع رعاية المعاق المسلم أنه:

"يتم من خلال هذا المشروع تقديم الأجهزة التعويضية والأطراف الصناعية والكراسي المتحركة وغيرها للمعاقين، لإعانتهم على مواجهة الحياة والاعتماد على أنفسهم في قضاء حوائجهم المختلفة. ويقدم المشروع للمعاق مساعدة مالية شهرية وبطاقة تموينية للحصول على الاحتياجات الغذائية الضرورية شهرياً. وكذلك يمنح المعاق بطاقة علاجية لتلقى العلاج المجاني بصفه دورية. ويتم مساعدة عدد عشرة معاقين سنوياً من لجان الفرع بكلفه قدرها ٨٠٠٠ جنيهاً سنوياً."

ويشير متطوع آخر:

"نحن نسعي في هذا المشروع لمتابعة حالات المعوقين بصفه مستمرة، والبحث عن فرص عمل ملائمة لهم، للمساعدة على تحويلهم إلى أفراد منتجين يعتمدون على أنفسهم في كسب رزقهم قدر الإمكان."

د. مخبز القرية

عندما استشعرت الجمعية أزمة رغيف الخبز وصعوبة الحصول عليه بالنسبة لغير القادرين ومحدودي الدخل من الأيتام والفقراء والمساكين وذوى الحاجة، سارع القائمون على الفرع بإنشاء مخبز بقرية الطود (تحت التجهيز) لإنتاج عدد ٦٠٠٠ رغيفا وتوزيعه بالمجان على عدد ١٢٠٠ أسرة من الأيتام والفقراء والمساكين في ٦ لجان من لجان الفرع. يقول أحد المتطوعين عن هذا المشروع:

" نأمل أن يؤدي هذا المشروع إلى تخفيف الأعباء عن كاهل الأسر الفقيرة في حل مشكلة الحصول على رغيف الخبز.

ويقول متطوع آخر:

"يهدف المشروع كذلك إلى إتاحة الفرصة لعدد كبير من الأسر للاستفادة من اشتراكات المخابز والحصول على رغيف الخبز بعد خروج أعداد كبيرة من الأيتام والفقراء من اشتراكات المخابز الأمر الذي سيؤدي في النهاية إلى انفراج أزمة رغيف الخبز ومساعدة الغير قادرين على الحصول عليه."

هـ. مشروع تحلية مياه الشرب

يهدف بمشروع تحلية مياه الشرب - وهو من المشروعات الحديثة التي تتبناها الجمعية - إلى توفير مياه شرب نقية في المناطق المحرومة منها، بعد استشعار الجمعية أزمة الحصول على مياه شرب نقية في بعض القرى التي تتبع الفرع، وخصوصاً الأماكن النائية. ويوفر المشروع وحدة تحلية مياه الشرب بالمجان لهذه المناطق. وتتكلف وحدة التحلية سبعون ألف جنيهاً، ساهم الفرع بمبلغ عشرة آلاف جنيه والباقي تتحمله الجمعية الشرعية الرئيسية. كما تم توزيع وحدتين من وحدات تنقية المياه على قريتين من القرى التابعة لفرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان بتكلفة قدرها ١٤٠ ألف جنيهاً.

٤. البرامج التعليمية

أ. مشروع طالب العلم الفقير

وهو من أهم المشروعات التي تتبناها الجمعية. فطالب العلم الفقير هو أحق الناس بالمساعدة المادية والمعنوية لما في ذلك من مرود عظيم ليس علي طالب العلم فقط، بل يمتد أثره ليشمل المجتمع كله. ويهدف هذا المشروع إلى تربية جيل مسلم ينشأ على حب العلم واحترامه ليسهم في رفعة الأمة. وتقوم الجمعية برعاية طالب العلم الفقير (علمياً ومادياً وأخلاقياً واجتماعياً) حتى ينشأ محباً لمجتمعه وغير ناقم أو حاقد على أحد، ويكون عنصر بناء لا عنصر هدم. كذلك يهدف المشروع لمنع التسرب من التعليم، خاصة في المرحلة الابتدائية نتيجة للفقر والعوز والحاجة، وبالتالي مكافحة الأمية منذ البداية. ولقد شهدنا في بعض النماذج العالمية للتطوع التي عرضنا لها في سياق البحث أن هناك من المؤسسات التطوعية ما تجعل هدفها الأساسي - وأحياناً الوحيد - هو الترويج لتقدم وانتشار المعرفة. مثال علي ذلك مؤسسة كارنيج في الولايات المتحدة، وهي واحدة من أكثر وأقدم المؤسسات الخيرية الأمريكية وأكثرها تأثيراً. وإسهامات المؤسسة كثيرة من أهمها التوسع في التعليم العالي وتعليم الكبار. يقول أحد المتطوعين:

"يقدم المشروع مساعدة مالية لطالب العلم الفقير - من غير الأيتام - قدرها ٥٠ جنيهاً، تصرف شهرياً طوال فترة الدراسة. كذلك يقدم لطالب العلم عطاءات سنوية، مثل بطانية في مطلع الشتاء، وشنطة مواد غذائية في شهر رمضان، ولحوم في عيد الأضحى المبارك، وملابس الأعياد والملابس المدرسية. ويتم دفع مصروفات مجموعات التقوية لطالب العلم والمصروفات المدرسية وبطاقة علاجية مجانية. كما ذكر أن ما يعاب على هذا المشروع، هو أنه يطبق على المرحلة الابتدائية دون باقي مراحل التعليم. ولكن من المستهدف في السنوات القادمة تطبيقه بمشيئة الله على جميع مراحل التعليم حتى المرحلة الجامعية."

ويضيف متطوع آخر:

"تقيم الجمعية حفلاً سنوياً يكرم فيه المتفوقين من طلاب العلم لتشجيعهم على مواصلة التفوق، ويكرم حفظة القرآن الكريم منهم. وينظم الفرع رحلة ترفيهية سنوياً للمتفوقين من طلاب العلم وحفظة القرآن الكريم. كما ينظم الفرع دوري في كرة القدم الخماسية لطلاب العلم الفقراء، ويشارك في هذا الدوري الأطفال الأيتام أيضاً. ويبلغ عدد طلاب العلم المستفيدين من هذا المشروع بفرع الجمعية الشرعية بقرية ببيان ٧٠٠ طالب علم فقير، بكلفة سنوية قدرها ١٣١٠٠٠٠ جنيهاً."

ب. مشروع تعليم الكبار

يستهدف هذا المشروع أمهات الأيتام بالتنسيق مع هيئة تعليم الكبار. حيث تسعى الجمعية لمحاربة الجهل والقضاء على أمية أمهات الأيتام بالفرع، من خلال مشروع تعليم الكبار بهدف محو الأمية التعليمية والدينية والصحية والبيئية والحرفية لهم.

"ينتظم عدد ٢٠٠ دارس في فصول محو الأمية بالفرع (البالغ عددها ١٥ فصل محو أمية). وتشجيعا من الفرع للدارسين، يقوم فرع الجمعية الشرعية بمنح أمهات الأيتام اللواتي يدرسن جلاباب شتوي وآخر صيفي وتقديم حقيبة مواد غذائية لهم. ويولى الفرع أهمية خاصة بمشروع محو الأمية، ويتخرج عدد ١٥٠ دارسا سنويا من المنتظمين في فصول محو الأمية بالفرع وتكرم الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة المتميزين من المدرسين والمدربات."

والمقصد من وراء هذا المشروع (محو أمية أمهات الأيتام) أن ينشأ الطفل اليتيم في ظل مناخ من الأمن التربوي الذي يكون له مردود إيجابي كبير عليه وعلي مجتمعه. حيث ينظر للأمن التربوي علي أنه يشكل النواة الأساسية لجميع أشكال الأمن الوطني الشامل بما يحمله من مسؤولية كبرى في بناء الأجيال وتشكيل المنظومة القيمية والمعرفية والمهاراتية لجميع أفراد المجتمع، وما يستتبع ذلك من ممارسات على أرض الواقع (صايغ، ٢٠٠٦).

ج. الحضانات الإسلامية

إدراكا من الجمعية لأهمية التعليم في الصغر ورعاية الأطفال في سن مبكر وتنشئتهم تنشئة دينية وعلمية صحيحة، وتأكيدا علي مبدأ أن التعليم حق كل طفل، يتبع الفرع العديد من الحضانات الإسلامية (عدد ٥ حضانات ينتظم فيها عدد ٥٠٠ طفل). تتولي التنشئة المبكرة للأطفال الأيتام والفقراء. يشير أحد المتطوعين المسؤولين عن هذا المشروع إلي أن:

"الحضانات مجهزة بالأجهزة السمعية والبصرية وأجهزة الحاسب الآلي. ويقوم بالتدريس فيها مدرسات من خريجي كليات التربية ورياض الأطفال. ويتم تدريب المدرسات على طرق تعليم الأطفال في مرحلة مبكرة. ويتم إعفاء الأطفال الأيتام

والفقراء بالحضانات من المصروفات. ويقدم للأطفال الأيتام زى الحضانة سنويا. ويقدم فرع الجمعية الشرعية حفلا سنويا يشارك فيه براعم الحضانات المتميزة من لجان الفرع لتقييم الأداء. كما ينظم الفرع عدد من الرحلات الترفيهية لأطفال الحضانات بصحبة مدرسيهم، ويقدم مكافأة للمتميزات من المعلمات في كل عام.

د. تحفيظ القرآن الكريم

ويهدف هذا المشروع إلى تربية النشء على حفظ كتاب الله عز وجل. وقد أنشأت الجمعية بالقرية عدد ١٩ مكتب لتحفيظ القرآن الكريم، ينتظم فيها ما يقرب من ٤٧٠ طفل يتيم وفقير. ويقدم لكل طفل منتظم في هذه الكتاتيب وجبة غذائية خفيفة. وتشجع الجمعية حفظة القرآن الكريم دائما، من خلال إقامة المسابقات في حفظ كتاب الله بصفة دورية، وتكريم المتفوقين في حفظ القرآن الكريم وإقامة حفل سنوي كبير في شهر رمضان للاحتفال بحفظة القرآن الكريم. كذلك تقيم الجمعية الشرعية الرئيسية مسابقات على مستوى الجمهورية وتكرم الفائزين فيها من حفظة القرآن.

هـ. لقاء الجمعة التربوي

في ظل اهتمام الجمعية وتأكيدها على الجانب الروحي، وفي سياق مسعاها للتنشئة السليمة للأطفال الأيتام ودمجهم في المجتمع؛ تقوم الجمعية بتنظيم لقاء أسبوعي يسمى "لقاء الجمعة التربوي، يقول أحد المتطوعين:

"يهدف هذا اللقاء لتربية الأطفال الأيتام دينيا على تعاليم الإسلام الصحيح، بعيدا عن البدع والخرافات والتعصب والمغالاة، وربط الطفل اليتيم بالمسجد ومتابعة سلوكه وتصحيح مساره أولا بأول. وينظم الفرع لقاء الجمعة في إحدى لجان الفرع أسبوعيا بشكل منتظم. وفي لقاء الجمعة يتم استضافة عدد ١٥٠ طفلا يتيما بأحد اللجان يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث يؤدي الأطفال الأيتام صلاة الجمعة برفقة مشرفي اللجان المختار منها الأطفال الأيتام. وبعد الصلاة، تقدم لهم وجبة ساخنة (أرز - لحم - خضار وفاكهة). بعد ذلك يتلقى الأطفال دروسا دينية في تعاليم الإسلام الصحيح. وفي نهاية اللقاء ينظم المشرفون مسابقات ثقافية وترفيهية لإدخال السرور والبهجة على قلوب الأطفال الأيتام. وتستبدل اللجان الأطفال في لقاءات الجمعة كي يستفيد كل أطفال اللجان من لقاء الجمعة. ويولى الفرع أهمية خاصة لتنظيم لقاء الجمعة، لأنه لقاء تربوي شامل يعلم الطفل اليتيم أصول دينه. ويقوم بالصرف على هذا المشروع مجموعة من المتبرعين."

من واقع عرضنا للمشروعات والبرامج والأنشطة التي تتبناها الجمعية، نجد أنها تسهم إلي حد كبير في تقديم خدمات اجتماعية يحتاج إليها مجتمع القرية. وفي سياق ذلك، تركز الجمعية جهودها في أربعة محاور أساسية:

١. **كفالة اليتيم:** وهو من أهم مجالات اهتمام الجمعية حتي أنها تشتهر بجمعية كفالة اليتيم.

٢. **المشروعات التنموية:** تتبني الجمعية العديد من المشروعات التنموية التي تحاول من خلالها تخفيف الفاقة عن المحتاجين، وفي الوقت ذاته تسعى للمساعدة في إقامة مشروعات صغيرة تكفيهم المسألة، مثل:

أ. خلق فرص عمل لأمهات الأيتام.

ب. مشروع تفصيل وتشطيب الملابس.

ج. المشروعات الصغيرة لشباب الخريجين من الأيتام.

د. دعم الأسر الفقيرة ومحدودة الدخل.

٣. **برامج المساعدة:** تقوم الجمعية - من خلال المعونات والتبرعات التي يتم تحصيلها وبالتنسيق مع العديد من المتبرعين - بتقديم مساعدات للمحتاجين لها مثل:

أ. تيسير زواج الفتيات اليتيمات.

ب. مشروع العلاج المجاني.

ج. رعاية المعاق المسلم.

د. مخبز القرية.

هـ. تحليه مياه الشرب.

٤. **البرامج التعليمية:**

أ. مشروع طالب العلم الفقير.

ب. مشروع تعليم الكبار.

ج. الحضانات الإسلامية.

د. تحفيظ القرآن الكريم.

هـ. لقاء الجمعة التربوي.

ومن الجدير بالذكر أن أغلب تلك البرامج والمشروعات تستهدف أساسا الأسرة اليتيمة التي فقدت عائلها وتحتاج من يعولها ويوفر لها أسباب الحياة الكريمة، بالإضافة للأسرة الفقيرة محدودة أو معدومة الدخل. وتنطلق الجمعية لا من منظور تقديم مساعدات وقتية أو حتي دائمة؛ بل إنها

تسعي لتحويل الفرد المحتاج إلي فرد مكتفي بذاته لا يحتاج للمساعدة من خلال دعمه في توفير فرصة عمل مناسبة له أو إقامة مشروع صغير يتكسب هو وأسرته من خلاله. بيد أن ذلك لا يعني أن الجمعية تؤدي عملها علي الوجه الأمثل أو أنه لا يقف في وجهها أية معوقات تحول دون وصولها لهدفها؛ بل إن هناك من المعوقات ما يعد تحديات كبيرة تواجه الجمعية، وهو ما سنتناوله في معرض الإجابة علي السؤال الثالث.

الإجابة علي السؤال الثالث: "ما المعوقات التي تواجه برامج وأنشطة ومشروعات التطوع في مجتمع الدراسة؟"

تواجه حركات التطوع اليوم في مجتمعنا المصري مشكلات من بينها؛ عدم وجود ثقافة مجتمعية راسخة تدعو للعمل التطوعي وتدعمه، بالإضافة إلي غياب المنهج، والنظرة المتشككة من جانب المواطنين للحركات التطوعية. كما أن الممارسات التعليمية لا تعزز أو تدعم الوعي الاجتماعي بين الشباب، فضلا عن انتشار البطالة والتي تبعد أكثر الشباب عن فكر التطوع - على الرغم من عدم وجود ما يشغلهم - وانحصر هدفهم في البحث عن عمل مدفوع الأجر. كما أن هناك بعض أشكال التطوع القهري في مجتمعنا والتي تجعل الكثيرون يتشككون في العملية برمتها. ومن بينها إجبار الآباء على التطوع بدفع ثمن المقعد الذي يجلس عليه ولده في حجرة الصف ودفع بعض المعونات الأخرى للمدرسة (بالرغم من أنها مدارس حكومية يفترض فيها أن التعليم بالمجان). وإرغام الشاب على محو أمية بعض الأفراد حتى يتعاقد للعمل في وظيفة ما. بالرغم من أن مشكلة الأمية يمكن القضاء عليها تماما إن تمت دعوة المتقاعدين من أصحاب المعاشات للقيام بها (كما هو الحال في الولايات المتحدة التي تستفيد من المتقاعدين في تعليم اللغة الانجليزية والعديد من المهارات الحرفية للأجانب والشباب، كما أوضحنا في معرض الحديث عن الولايات المتحدة).

فضلا عن ذلك، فإن آلية التطوع ذاتها يشوبها بعض الخلط، الأمر الذي يمثل إشكالية أساسية في فهمنا للعمل التطوعي. فالتطوع إذا كان يتم من واقع الإرادة الحرة للإنسان، فلا بد أن يذهب هذا الإنسان من طوع نفسه ويعرض رغبته في التطوع، لا أن يتم اختياره بالشكل الذي تحدثت عنه إحدى الحالات (بالرغم من أن له باع طويل في هذا العمل وهو من أوائل من بدؤوا الدعوة والترويج لهذا النشاط في القرية).

وتواجه الجمعية - مثلها في ذلك مثل أي جمعية أو منظمة تتصدي للعمل الخيري الاجتماعي - العديد من المعوقات وهي:

١. ضعف الدعم المادي المقدم للأطفال الأيتام شهريا

يعبر عن ذلك أحد المتطوعين في قوله:

"يحصل الطفل اليتيم على إعانة شهرية خارجية من الجمعية الشرعية الرئيسية قدرها ٢٠ جنيها وإعانة داخلية شهرية من كفيل قدرها ٢٠ جنيها، ليبلغ ما يتقاضاه الطفل اليتيم شهريا ٤٠ جنيها، وهو مبلغ ضئيل لا يفي باحتياجات ومصروفات الطفل اليتيم."

ويضيف آخر:

"من المشكلات التي تواجه الجمعية هو قلة الدعم المادي والعيني باستثناء الأعياد والمناسبات وشهر رمضان لكثرة عدد أفراد الأسر اليتيمة والفقيرة وكثرة احتياجاتها وزيادة أعباء الحياة عليها نتيجة ارتفاع الأسعار."

وقد حاولت الجمعية التغلب على هذه المشكلة بالبحث عن أكثر من كفيل للأسرة الواحدة لمضاعفة الدعم المادي لأسر الأيتام، كذلك توصيل رسالة إلى كل كفيل بأن الكفالة ليست مجرد ٢٠ جنيها تدفع للطفل اليتيم شهريا؛ بل الكفالة الحقيقية هي رعاية اليتيم رعاية كاملة وإشباع رغباته واحتياجاته وتربيته مثل أولاده. وقد حدثت بالفعل استجابة لذلك، يشير إليها أحد المتطوعين قائلا:

"هناك بعض الكفيلين يوفرون للطفل اليتيم ملابس المدرسة والأعياد ويقوم بدفع مصروفات المدرسة ومجموعات التقوية، ويستضيفه في منزله مع أولاده للعب وتناول الطعام معهم كأصدقاء (حيث تحاول الجمعية اختيار الطفل اليتيم في نفس سن أبناء الكافل تقريبا، حتى تحدث ألفة بين الأطفال، فلا يشعر الطفل اليتيم بأنه مسكين جاء ليأخذ صدقة ثم ينصرف)، وكذلك توفير الاحتياجات الغذائية الضرورية لليتيم طوال الشهر."

إلا أن ذلك لا يكفي فلا تزال هناك حاجة للمزيد من الدعم المادي حتى تستطيع الجمعية تلبية احتياجات جميع الأسر، وهذا يتطلب البحث عن وسائل أخرى للتمويل مثل إقامة معارض لمنتجات الأسر اليتيمة وتفعيل دور علماء الدين والمشايخ من خلال تعريف رجال الأعمال والأغنياء بفروض الكفاية وأن على الأغنياء إطعام الفقراء ومد يد المساعدة إليهم حتى لا يأتثوا طالما أنهم علموا أن هناك فقراء في أمس الحاجة لمساعدتهم، إلي غير ذلك من البدائل المناسبة.

٢. تدني خبرة بعض الأسر الفقيرة في إدارة المشروعات الصغيرة: يعبر عن ذلك أحد المتطوعين في قوله:

"من المعوقات التي تواجه الجمعية قلة خبرة بعض الأسر الفقيرة في إدارة المشروعات الصغيرة التي وفرتها لهم الجمعية مثل مشروع تربية الأرانب، مما أدى إلى توقفه عند بعض الأسر."

وتحاول الجمعية التغلب علي ذلك من خلال تدريب وتعليم الأسر الفقيرة أساسيات التربية لهذا المشروع قبل منح هذه الأسر مشروع تربية الأرانب ذو العائد الإقتصادي السريع والكبير، إن تم بطريقة صحيحة. وأري أن ذلك يفوق طاقة الجمعية؛ بل إن الأمر يحتاج تدخل حكومي أو حتي تدخل من أصحاب المشروعات الكبيرة، ليكون جزءا من تطوعهم متمثلا في تقديم فرص تدريب حقيقية لهؤلاء الأفراد قبل المشروعات إنشاء المشروع لهم. وقد يتم ذلك من خلال مراكز تدريب متخصصة يتحمل نفقاتها الأثرياء بالتنسيق مع الجمعية، أو من خلال إتاحة الفرصة للفرد المقبل علي البدء بمشروع صغير للعمل فترة من الزمن في مشروع مشابه يكون أكبر وقد أثبت نجاحه كي يكتسب خبرة في هذا المجال.

فضلا عن ذلك، فقد لاحظت من خلال مراجعتي للعديد من الأدبيات والدراسات المتعلقة بالعمل التطوعي وجود العديد من المعوقات، والتي ظهرت من واقع معاشتي وملاحظتي لعمل الجمعية لفترة وصلت عام كامل تقريبا قبل أن أشرع في كتابة التقرير النهائي للبحث، أذكر منها:

٣. معوقات متعلقة بالمتطوع:

- جهل الكثيرين بأهمية العمل التطوعي وأهدافه وأهمية دوره، وعدم إجادة الدور المطلوب من المتطوع.
- عدم القيام بالمسؤوليات التي تسند إلي المتطوع في الوقت المحدد أحيانا، نظرا لكثرة العمل الذي يلقي علي عاتقه.
- سوء الأوضاع الاقتصادية والسعي وراء الرزق؛ مما يحد من قدرة الفرد علي التطوع.
- تعارض وقت المتطوع مع وقت العمل أو الدراسة؛ مما يفوت عليه فرصة الاشتراك في العمل التطوعي.
- المفهوم الخاطئ المتمثل في القيام بالكل أو لا شيء.
- شخصنة العمل التطوعي.

٤. معوقات متعلقة بالجمعية:

- أن إدارة عمل الجمعية لا تتبع الأسس العلمية، بل يغلب عليها الطابع الفردي.
- عدم تحديد دور واضح للمتطوع لعدم وضوح الإجراءات واللوائح المتعلقة بالمتطوعين.
- عدم التوازن بين قدرات ومؤهلات المتطوعين، وبين ما يسند إليهم من أعمال تطوعية.
- أن استقطاب المتطوعين واختيارهم لا يتم بشكل علمي سليم، بل يغلب عليه طابع الفردية والعشوائية.
- عدم إعلان الجمعيات عن حاجتها لمتطوعين؛ فقد يوجد الكثير ممن لديهم الاستعداد للتطوع، ولكن لا يعلمون شيئاً عن هذه الجمعيات أو ما يحتاجون إليه.

٥. معوقات متعلقة بالمجتمع:

- اعتقاد البعض أن التطوع مضيعة للوقت والجهد ولا طائل منه.
- عدم بث روح التطوع بين أبناء المجتمع منذ الصغر.
- الابتعاد عن التعاليم الدينية وعدم الاهتمام بما تدعو إليه من استثمار الدوافع الدينية لصالح العمل التطوعي.
- عدم الاهتمام بمشكلات المتطوع الأسرية لما لها من تأثير على العمل التطوعي.
- ضعف الاهتمام الإعلامي الكافي بإلقاء الضوء على النشاطات التطوعية والتحفيز عليها.

سادساً: استخلاص النتائج

في التحليل الأخير، نلاحظ أن البعد الديني عامل أساسي، يدفع الأفراد إلى الاقتناع بفكرة التطوع والتحمس لها والتضحية من أجلها بالوقت والمال والفكر والجهد... الخ. والتطوع قيمة تبدأ في الأسرة، ثم يأتي المجتمع بكل مؤسساته ليؤكد هذه القيمة، حتى يصبح التطوع ثقافة مجتمعية عامة. وقد جاءت أهم استنتاجات الدراسة الميدانية متمثلة فيما يلي:

- ١- أن الدين هو العامل والدافع الرئيس في نجاح التجربة.
- ٢- يوجد استعداد لدى معظم أفراد مجتمع الدراسة للمشاركة في العمل التطوعي.
- ٣- أن التطوع ممارسة لا تحتاج قرار سياسي ولا إمكانيات دولة للبدأ في الانخراط فيها.
- ٤- اختفاء ظاهرة التسول إلى حد كبير من مجتمع الدراسة في ظل المناخ التكافلي الذي أوجدته الممارسات التطوعية.
- ٥- هناك من المعوقات البيروقراطية ما يعوق الجمعية عن ممارسة بعض أدوارها.

- ٦- يحتاج أفراد الجمعية للتدريب علي الأساليب العلمية الحديثة المتعلقة بإدارة العمل واستقطاب المتطوعين وضمان استمراريتهم وجمع التبرعات.
- ٧- بالرغم من الدور الكبير الذي تلعبه الجمعية، فإن مجتمع القرية لازال بحاجة لتضافر جهود أبنائها للقضاء على مشكلاته الملحة، وتلبية حاجات الأيتام والفقراء.
- ٨- فشل عدد من المشروعات الصغيرة التي ساهمت الجمعية في إنشائها؛ نظرا لعدم توفر الخبرة اللازمة لإدارتها.

ثامنا: التوصيات والمقترحات

لابد للعمل التطوعي من مقومات وأسباب تأخذ به نحو النجاح. ولذلك فمن الأهمية بمكان معرفة أسباب النجاح والحرص عليها وتفعيلها ونثبيتها. ومن واقع المراجعة المتأنية للأدبيات السابقة في هذه القضية، ومن النتائج التي خرجنا بها من الدراسة الميدانية علي جمعية كفالة اليتيم محل الدراسة، خلصنا إلي بعض العناصر الهامة التي قد يكون لها دور في الإرتقاء بالعمل التطوعي:

١. غرس القيم الدينية كالتضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.
٢. تشجيع جميع أفراد المجتمع علي العمل الخيري التطوعي كل بقدر اهتمامته وقدراته من خلال وسائل الإعلام المختلفة.
٣. الترويج لفكرة العمل التنموي في العمل الخيري، فلا يقتصر الأمر علي تقديم مساعدت مادية للمحتاجين، بل إعانتهم علي توفير فرصة عمل أو إقامة مشروع صغير يكفل لهم حياة كريمة ويكفيهم ذل المسألة.
٤. تبني رجال الأعمال من أصحاب المشروعات الكبيرة الناجحة لتدريب الأفراد المقبلين علي إنشاء مشروعات صغيرة قبل انخراطهم في أعمالهم الخاصة.
٥. وجود نظام للرقابة والمتابعة والتقييم المستمر للمؤسسات التطوعية للتأكد من سلامة التخطيط والتنفيذ.